صاحبها ورئيس تحريرها
مدحة عكاش
MADHAT AKKACHE

الثقافة

مجلة ثقافية أدبية تصدر في دمشق

دمشق ـ ص.ب (٢٥٧٠) هاتف ٢٢٩٩٨٤

نيسان
١٩٧٥
ملحق العدد ١٤

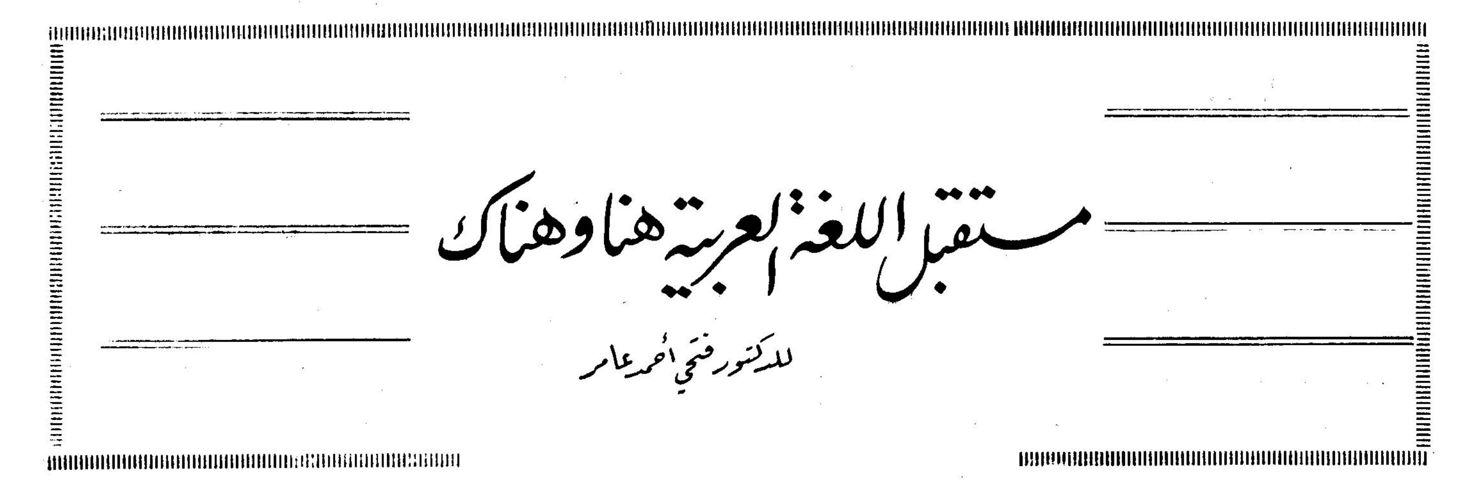
حركة التأليف

بقلم

رئيس التحرير

لعل أكثر ما يثلج صدورنا أن نرى هذا النشاط الواضح في حركة التأليف تدعمه المؤسسات العامة كوزارة الثقافة والارشاد، أو اتحاد الكتاب العرب أو دور النشر الكثيرة في دمشق ، وليس لنا أن نقيم هذا النتاج الضخم فالزمن وحده كفيل ببقاء الافضل ، وأذواق الناس في هذا الموضوع أقلام الحق.

الا ان هناك أمرا طالما رجونا فيه هذه المؤسسات وألحفنا في الرجاء وهو أن يعيروا الجيد من تراثنا قليلا من العناية والرعاية والاهتمام وأن يلتفتوا الى ما نحن بحاجة اليه من هذا التراث ليكون في متناول ادبائنا عله يترك الاثر الذي نرجوه في الحفاظ على أصالة الفكر واللغة، أو ربما يعمل على تقريب الشقة بين أنصار الحديث ممن لم يعترفوا بهذا التراث لانهم لم يطلعوا عليه وبين أنصار القديم ممن لا يعترفون بأي حديث ما لم يكن ممتد الجذور الى تراثنا الخالد .



مستقبل اللغة العربية هنا وهناك

للدكتور فتحي احمد عامر

تمثل اللغة العربية اقوى الدعائم في قوميتنا التي نبذل في سبيلها كل جهد ، ونسعى اليها ما وسعنا السعي ، وننادي لتحقيقها وتثبيتها بجهوري النداء ٠

كل هذا نصنعه ، واكثر من ذلك نصنعه في سبيل القومية العربية ، التي هي اثر من آثار التاريخ العربي وقيمه لا بد منها لاصالتنا ووجودنا المشترك على هذه الارض التي نتنفس انفاسها ، وننعم بعبيرها ٠

واذا كان الامر كذلك فاللغة العربية من هذا المنطلق تراث الخلود للعرب ، او خلود التراث لهم ، عليهم ان يحوطوها بكل الضمانات الممكنة رسميا وشعبيا حتى لا تتزلزل قدماها في مهب الريح العاتية لالاف اللهجات التي تهب عليها في كل قطر عربي ٠

وسوف تعجب ـ ايها القارىء ـ كما اعجب ، وكما عجب قبلنا كثير من اهل اللغة الذين عصف بهم الكمد والحسرة ، وهم يواجهون هذا التناقض الواضح بين دعوتنا الملحة لجمع الشمل العربي ، وحفظ الكيان العربي ، ووقوفنا موقف المتفرج ، واللغة العربية تترنح في الشفاه العربية ، وفي الجامعات العربية ، وفي الدواوين العربية ، وما الى ذلك ٠

ان هذه الظاهرة خطيرة للغاية ، اكون منصفا لو قررت ، انني شاهدتها بنفسي وعانيتها معاناة المحب للقومية واللغة على السواء ، في ثلاثة اقطار عربية ، هي مصر والجزائر والسودان ٠

ومن هذه المعايشة ، وتلك المعاناة ، في ثلاثة اقطار عربية ، تجيء كلماتي من ذوب القلب ، وعصير المشاعر ، حول مستقبل اللغة العربية ، وليس هذا من باب التشاؤم ، او اغلاق الباب في وجه الاصلاح ، فالتحذير من الخطر كثيرا ما يبعد عنه ، والتنبيه الى اثر ظاهرة من الظواهر الاجتماعية او اللغوية ، كثيرا ما يلفت الانظار والعقول اليها ، لتوضع موضع المراقبة والملاحظة ، او موضع العلاج ٠

ففي مصر نرى رجال اللغة العربية لا يرقون في وزارة التربية والتعليم الى المناصب القيادية العليا الا في النزر اليسير ، بينما نرى المعلمين من غير هؤلاء الرجال على اختلاف طوائفهم وتخصصاتهم يصلون الى هذه المناصب راضين مغتبطين ، لم يعكر صفوهم شيء ، ولم يضيق من نطاق آمالهم ضيق ٠ وكأن رجال اللغة العربية لا يصلحون على الاطلاق لشغل منصب وكيل الوزارة او منصب المدير العام ، وكأن الله خلقهم ، ليقصروا حياتهم على ان يعلموا النشء في المدارس ، لا يرقون ٠ الا الى وظائف الموجهين والنظار في بعض الاحايين ، وما فوق ذلك هم بعيدون كل البعد ، بينما نرى غيرهم منه جد قريب ، والامثلة النادرة التي ترد على هذه القضية لا تبطلها على الاطلاق ٠

وتلك ظاهرة يصدم بها الشباب الطامحون ممن يختلفون الى اللغة العربية ، ويولعون بها ، يجدون آمالهم مسدودة ، ودرجاتهم محدودة ، وطموحهم قد وقفت به الغايات في وزارة التربية والتعليم ، فينصرفون الى دراسة اخرى تنفتح دونها المغاليق وتتحقق المطامح والامال ٠

ولست ادري سببا لهذا الاختلاف في المعاملة بين رجال اللغة العربية ، وغيرهم من معلمي الدراسات الاخرى ؟٠

واذا كان هناك قصور في الاولين ، فالقصور ذاته في الاخرين ، وتلك سمة من سمات التعليم في مصر ، ضعف ظاهر في الخريجين ، على اختلاف ثقافاتهم وتخصصاتهم ٠

واذا انتقلنا الى ظاهرة اخرى جديرة بالنظر والبحث ، فاننا نجد هذه الظاهرة متمثلة في ضعف الطلاب الظاهر ، واقبالهم على دراسة اللغة العربية عن غير رغبة ٠

فطلاب الازهر ينصرف المتوفقون منهم الى كليات الازهر العملية ، ولا يجد الطلاب العاديون او المقبولون ، غير الكليات النظرية ، فيسلمون انفسهم اليها كارهين ولا يستطيعون ان يقنعوا انفسهم بقيمة هذا اللون من الدراسات ، فيتولد الصراع في نفوسهم ، ويقوى ويشتد ، ويضيقون بظروفهم وحياتهم ، وتنشأ في داخل كل منهم الوان من العقد تكثر او تقل ، ومن ثم فهم منصرفون تلقائيا عن دراسة العلوم العربية ، والاسلامية ، يتعلمونها لينجحوا ، لا ليغذوا عقولهم وقلوبهم ومشاعرهم ، ويختلفون اليها ، ليحصلوا على اجازات جامعية تفتح لهم طريق لقمة

العيش ، او طريق الوظيفة ، والاندماج في سلك الموظفين ·

ومهما بالغ الاساتذة في الاخلاص ، وتفننوا في جذب الطلاب اليهم في قاعة الدرس فلن يجدوا من الطلاب آذانا صاغية ، ولن تتفتح الصدور الموصدة لما يقولون ، ولن يجد الاساتذة بدا من التسهيل والتذليل ، واستبدال المراجع بالمذكرات والاستغناء عن الكتب الكثيرة بالكتاب الواحد ، الذي يحذف نصفه او يزيد عندما يحين الامتحان· وشبيه بهذا الامر ما وصلت اليه كلية (دار العلوم) التي كانت تعنى عناية شديدة باختيار الطلاب ، فلا تفتح صدرها الا للنابهين والمتفوقين من طلاب الازهر بادىء ذي بدء ، ثم من طلاب وزارة التربية والتعليم منذ سنة الف واثنتين وخمسين ، وكانت كلية دار العلوم تتأنى في الاختيار وتعقد المسابقات التحريرية والشفوية ، وتبذل الجهود المضنية الطويلة في الوصول الى احسن الطاقات ، وخير الملكات اللغوية والادبية ·

ومن هذا المنطلق استطاعت ان تخرج طبقة عالية في المستوى ، على حظ وافر من الثقافة العربية الاصيلة ، تحسن احسن الابداع وتعطي اعظم العطاء ، في مواقف التدريس، ولكن الحال قد اختلف اختلافا شديدا، فاصبحت كلية دار العلوم تستقبل افواجا افواجا من غير الراغبين الذين يحصلون في الثانوية العامة على اقل الدرجات ، والذين لا يجدون طريقا آخر يرغبون فيه ، فيسلمون امرهم لله ويتوافدون على دار العلوم ، وهم يجهلون رسالتها ، او بعبارة اخرى لا يقتنعون بما فيها من زاد ·

ويحاول اساتذة دار العلوم ـ شكر الله لهم ـ ان يبسطوا افكارهم وعلومهم وان يقتربوا ـ جاهدين ـ من نفوس طلابهم وان ينشروا بين ايديهم ادلة الاقناع ، ليقنعوا ، ولكنهم قلما يستجيبون ، ويأخذون طريقهم بعد ذلك الى مدارس التربية والتعليم معلمين للغة العربية ، في مستوى ضعيف ويقل الاقبال على اقسام اللغة العربية في كليات الاداب بينما يتزاحم الطلاب تزاحما شديدا على ابواب الاقسام الاخرى ·

ولست ادري سببا لذلك كله الا مستقبل الخريج الذي يتخصص في اللغة العربية وتقعد به المطامح والامال عن الوصول الى ما يريد ، فيختار الموصل الجيد ويعزف عن الموصل الرديء ، جهد ما يقنع به نفسه ، ويقتنع به عن طريق الاخرين ·

وليس هناك من حل لهذه المشكلة التي تهدر قيمة اللغة العربية ، وتطيح باعظم مقوم للقومية العربية ، الا ان يعيد المسؤولون النظر في نظام التعليم بوجه عام ·

وفي الجزائر عشت عامين متواصلين اباشر تدريس اللغة العربية ، في ما بين عامي ١٩٦٧ و ١٩٦٩ ، فكان الاقبال منقطع النظير من الطلاب ، وكان الطلاب في شغف زائد للغة العربية ، والادب العربي ، وكان المسؤولون عن هذه اللغة من اعظم القيادات في الثورة الجزائرية نفسها وهم يأخذون انفسهم بهذه اللغة ، ويعملون ليلهم ونهارهم من اجلها ، فالصغار يختلفون الى تعلم اللغة العربية الجزء الاكبر من النهار ، والكبار يختلفون الى تعلمها شطرا من الليل راغبين طائعين ، غير ضائعين ، ولا كارهين ·

فلا تقل ، انه الاستعمار الذي كان يضيق الخناق على اللغة ورجالها ، ويقف عائقا دون تعلمها ، وبزوال الاستعمار زال هذا الكابوس الذي كان يضيق الخناق ويمثل العائق ، فاقبل الجزائريون الى لغتهم الاصيلة يعبونها عبا ، ويرتشفون منها رحيق الشهد وشهد الرحيق·

فهذا العائق ذاته كان موجودا في غير الجزائر ، ولم نجد اقبالا كهذا الاقبال ولا فتونا باللغة كهذا الفتون ، ولا سهرا من المسؤولين على شؤون اللغة كهذا السهر ، حتى انك قد تعجب اذا ذكرت لك صادقا امينا قصة احد المسؤولين الكبار الذي لا اعرف اسمه ، ولكني اتذكر مواقفه جيدا وكيف كان حريصا ابلغ الحرص على ان يختار اكفأ المعلمين للغة العربية من المعارين لتدريسها ، وكيف كان يلغي عقود من لم تتوافر فيهم المقدرة اللغوية او الكفاءة التربوية ·

بينما تراه في الوقت ذاته ، يكرم الممتازين من المعلمين ، ويفيض في الثناء عليهم ويقضي لهم ما يشاؤن من مطالب وغايات ·

وتستطيع ان تستشف مقدار ما تجده اللغة العربية في الجزائر من اعزاز وتكريم على ارفع مستوى هناك ، اذا ذكرت لك ان مسؤولا كبيرا في وزارة التعليم الجزائرية قد انتقل بنفسه الى مكان بعيد عن العاصمة ، يقنع معلما ممتازا للغة العربية بالبقاء ، وكان المعلم الممتاز قد صمم على الرحيل ، لظروف اضطرته الى مغادرة الجزائر ، وحاول المسؤول الكبير ان يثني المعلم عن رغبته ، فلم يفلح امام اصراره ·

ولعلك تقتنع معي ان هذه ظاهرة تدل دلالة اكيدة على ان شعب الجزائر وقادتها مقتنعون تماما بقيمة هذه اللغة ، عاملين تماما على نشرها ، باذلون من الجهد اضعافا مضاعفة في سبيل ان تقوى وتزدهر ، وتأخذ مكانها اللائق بها على مستوى الشعب والحكومة ·

وفي السودان التي شرفت بالعمل بها منذ ثلاثة اعوام

● الصفحة الثالثة ●

مدرسا للبلاغة والنقد الادبي بكلية الاداب فرع جامعة القاهرة بالخرطوم ، ارى ظاهرة تستلفت النظر من طراز جديد ، لا يوجد مثله في مصر ، ولا يوجد مثله في الجزائر •

فرواد اللغة العربية قليلون ، والطلاب الذين يقبلون على التخصص في هذه المادة اندر من الماس والياقوت ، وهل تتصور ان عدد الطلاب بقسم اللغة العربية بكلية الاداب ، فرع جامعة القاهرة بالخرطوم لا يتجاوز عشرين طالبا وطالبة ، بينما يوجد خمسة من اعضاء هيئة التدريس ، استاذان ومدرسان واستاذ مساعد ، بله الاساتذة المنتدبين •

وهل تتصور ان ضعفي هذا العدد تقريبا او اكثر قليلا يوجد في الجامعة الاسلامية بام درمان ؟• ولست ادري ، والحال كذلك في الجامعة الاسلامية ، كم وصل العدد في جامعة الخرطوم ؟• واللغة العربية ليست تخصصا وحدها ، بل مضافا الى غيرها • انها ظاهرة تستحق الدراسة ، فمعين اللغة العربية في السودان يتعرض للنضوب واقبال الطلاب على دراسة هذه اللغة لا يكاد يذكر ازاء اقبالهم الشديد على التخصصات الاخرى ، كالجغرافيا والاجتماع والفلسفة وما الى ذلك ، وحينما استطلعت بنفسي آراء مجموعات من هؤلاء الطلاب الذين يتوافدون على اقسام اللغة العربية في السودان حول ظاهرة انكماش هذه الاقسام ونضوبها وجدتهم يكادون يجمعون على انهم يفتقدون المرجع الجيد الذي يكتب بلسان العصر ويبتعد بهم عن المماحكات والجدل اللفظيين ويربط لهم كل ما يتلقون من علم باسلوب الحياة المتطورة المتجددة •

ومن خلال هذا الاستطلاع اصل الى عقدة من هذه العقد التي تفزع الطلاب وتجزعهم وهي الوقوف عند الكتب القديمة في بعض الدراسات الادبية بمفهومها العام ، كالنحو والبلاغة ، ولقد كتبت هذه العلوم باسلوب علمي جدير بالانتباه اليه ، كتبها اساتذة متخصصون كما ينبغي ان تكتب ، وخلصوها مما شابها في القديم من منطق وفلسفة ، واصبحت من المراجع العربية التي لا غنى عنها لاي باحث في هذا المجال ، واذكر في هذا الصدد ، على سبيل المثال ، كتاب (النحو الوافي) للاستاذ الكبير عباس حسن ، عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وهو موسوعة عربية رائعة ، واضحة الاسلوب ، دقيقة التصنيف •

وكتاب (البيان العربي) للدكتور بدوي طبانه ، رئيس قسم البلاغة والنقد الادبي والادب المقارن بكلية دار العلوم ، وكتاب (قدامة بن جعفر والنقد الادبي) وكتاب (ابو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية) للمؤلف عينه ، وكلها كتب جليلة القدر ، عظيمة الفائدة تبعد الدارس عن اسلوب الالغاز ، وتصله بالبلاغة العربية في احسن مجاليها واعظم صورها وهناك طائفة كبيرة من هذه المؤلفات لاساتذة اجلاء فضلاء ، مثل كتاب (البلاغة تطور وتاريخ) للدكتور شوقي ضيف ، و (اثر القرآن في تطور النقد العربي) للدكتور زغلول سلام ، وكثير غيرها •

وبهذه الوسيلة المتطورة ، في تلك المؤلفات القديم موضوعها الجديد اسلوبها وتناولها ، يستطيع عشاق اللغة العربية ودارسوها ان يجدوا طلبتهم ويمتعوا نفوسهم باعظم زاد، وخير مدد، في حقل من اخصب حقول المعرفة على الاطلاق والملاحظة الاخيرة التي تجيء في نهاية مقالتي تلك ، هي ما كان من اثر المهرجان القومي الاول للاداب والفنون الذي عقد بالخرطوم في الخامس من يناير ـ كانون الثاني ـ الى الحادي عشر منه ، عام ١٩٧٥ ،

لقد كان المهرجان عامرا بالشعر المبدع ، سواء من شعراء مصر او السودان ، ولعلنا نوفق الى دراسة هذا الشعر ونقده في محاولات تالية ، والشيء الجدير بالنظر هو ان رواد هذا المهرجان لم يكونوا يتجاوزون بضع مئات من المستمعين ، في الوقت الذي بذل فيه المسؤولون في السودان جهودا كبيرة في الاعلان عنه ، وتنسيقه وتشجيع المشتركين فيه ، وتكريمهم •

وكنت ارى الاديب الشاعر الاستاذ محمد احمد محجوب يهتز على وقع النغم ، وتتراقص مشاعره لجاذبية الكلمات ، وكان يستمع جيدا باذنيه وعينيه وعصاه واصابعه •

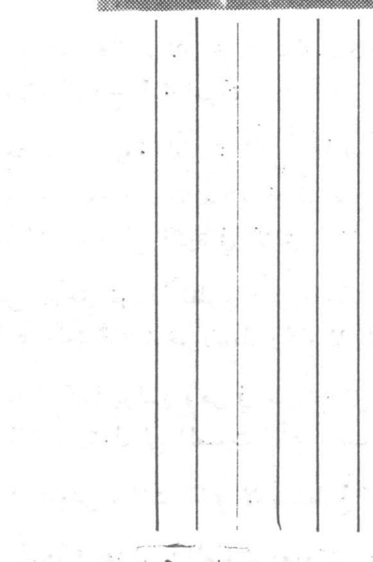
فهل نتطلع الى مستقبل باسم للغة العربية والادب العربي ؟ هل نرى جهودا متواصلة من الشعب العربي والمسؤولين العرب ، وبخاصة في جامعة الدول العربية ، تعيد لهذه اللغة جميل وجه رشاقتها ، ورشاقة وجهها ؟•

وهل ننظر الى هذه اللغة نظرة جوهرية تليق بقيمتها في حياتنا المعاصرة التي نستلهم قوتنا ووحدتنا وتاريخنا من خلالها في القديم ، وتطورها وغناها وخصوبتها في الحديث ؟• وهل نحس سيلا من الحماس الجارف في جامعاتنا ومعاهدنا ينعكس الى سلوك عملي للاخذ بيد هذه اللغة الخالدة ، لغة القرآن الكريم ، والحديث النبوي ، يرغب في دراستها ويقرب منها الشباب والمتعلمون والدارسون من طلاب البحث والمعرفة ، ويبعد عنها ما ينفر منها ، ويجعلها مغضنة الجبين مشوهة الملامح ، لتظهر اخيرا في جمال تقاطيعها ، وسحر جاذبيتها ؟••

الدكتور فتحي احمد عامر

الناي





تأليف الشاعر الفرنسي دوفيني

المترجم: سعيد ابو الحسن

هذه القصيدة نشرت في مجلة العالمين في ١٥ آذار ١٨٤٣ . وحسب ب. فلوت ، كانت تحمل عنوانا ثانويا هو : مساواة الارواح . وكان ديفينيي قد كتب في مذكراته منذ ١٨٤٢ : « اعضاء رديئة تخدم العقل ، كما قلت في قصيدة الناي » .

ان مسألة تفاوت العقول والعلاقات بين الطبيعي والمعنوي كانت منذ زمن بعيد تشغل فيني (راجع في الطبعة النقدية لاستيف الملاحظة المستخلصة بهذا الصدد من مذكرات عام ١٨٣٧ عن طوني جوهانو ، وعام ١٨٤٠ و ١٨٤٢ عن مالبرانش : « كان مالبرانش احمق حتى سن السابعة عشرة . وتسببت سقطة بجرحه في الرأس ، فأجريت له مداخلة جراحية مع فتح الجمجمة فاذا هو يصبح رجلا عبقريا . ولو اجريت عملية فتح الجمجمة لديكارت لكان من المحتمل ان يصبح أحمق . » ـ من الممكن أن فيني كان ينسب الى مالبرانش ما كان قد قرأه عن جان جاك روسو في الابحاث الفلسفية لدوبونال . من الممكن ايضا ان فيني اخذ رمز الناي عن جيبون (تاريخ انحطاط الامبراطورية الرومانية ، الفصل ١٥) أو عن مقطع من هاملت لشكسبير (الفصل «٣» المشهد «٢») .

هذه المسألة سبق ان عولجت من وجهة النظر الفلسفية من قبل فيلسوف ماوراء الطبيعة مين دوبريان أو من قبل دوبونال . ولكن هذا لا يقلل من اصالة ديفينيي سواء من ناحية الفكرة او من ناحية الشكل ..

ـ ١ ـ

رأيت يوما فقيرا يجلس تحت هذه الدوحة

وقد وضع فوق هذا المقعد المرمري جرابه وقبعته ،
ثم اسرع في أكل قطعة من الخبز الاسود
وراح يحلم .

كان يبدو انه يبحث في الممرات الطويلة

عن شخص يستمع الى اغانيه المتفجعة .

كان يتبع آسفا اثر العابرين النادرين

الذين كانوا يسيرون ، في كل اتجاه ، مسرعين .

معهم كانت تهرب الصدفة المختفية ،

الثمن المشكوك فيه لسرير خشن في شارع ضيق
ولعشاء مر في مسكن غير صحي .

وخلال ذاك كان يسحب من صدره متأنيا
ـ مثلما يستعد رسول للاستشهاد ، ـ

القطع الثلاث من ناي ويصلها فيما بينها ،

ويجرب فاها على ذقنه المرتعدة ،
فيحرك المفتاح وينظفه بالنفخ ،

ويحك بركبتيه المطويتين خشب الابنوس ،
ثم يلعب • ـ ولكن جبينه كان ينفخ عبثا عروقه

فلم يكن حواليه احد ليستمع ويحكم
على الممثل المتواضع امام جمهور عاق وعابر •

قربت يدي من قبعة الفنان العتيقة
من دون انتظار نظرة من عينه العذبة الكئيبة ،

في تلك الآونة المترعة بالثورة والكبرياء ،

لكنه ، على الرغم من فقره ، بدا متواضعا ومهذبا •

ـ ٢ ـ

رسم لي لوحة عن حياته الشاقة :
مدفوعا بهذا الشيطان (الطمع) الذي يدعونا باستمرار

قام بجميع المحاولات ، ولم ينجح في شيء ،
وكان الاضطراب كله ينطوي في ثنايا حكايته :

لم يكن هناك سوى الاندفاعة المفاجئة ، والمطامع المجنونة ،
والمحاولة المجهضة ، والعظمة الكلامية •

★

في البدء ، عند انطلاقه ، كبرياء بلا حدود ،
لافتة ضخمة على جبهة مطمئنة ،

يتجول في باريس في استعلاء :
بونابرت وبيرون ، القائد والشاعر ،

والمشترع ايضا ، والرئيس الديني
(هذا وباء جميع الطلاب) ،

أبا لمذهب التوحيد المزين بأشياء كثيرة ،
من العصور الذهبية ومن تقمصات بوذا

التي كان يعتقد في اعماق نفسه انه يخلقها ،
كان يطبقه على كل شيء ، آملا ان يحمل ثورته ضمن فلسفته ،

ولكن عصرنا يرتاب بالمهربين ،
فما تلبث مسابرنا ان تكتشف الزيف •
ولدى اول حجة بارعة انفجر منطاده •
ولكي يرفع سلته نفخ مناطيد كثيرة بددها الهواء •
وحين تعب من الرسل ، نزع عنهم رداءهم ،

(وهو قبل كل الناس كان يهزأ بهذه الهيئة من الفروسية
التي صبغ بها نفسه في البداية ،
وحملها درعا ثقيلة لمواجهة معارك غامضة ،

ذلك ان قلبه ، الاكثر رزانة الآن ،
يتدفأ ويستنير بشعلة مزدوجة :
العقل السليم الذي يرى نفسه ، وطيبة القلب التي تعترف بها

كانا يلونان اصفرار وجهه حينما يتكلم) •
هجر ، اذن ، الاديرة ، توحيدية كانت او غير توحيدية ،

وكتب اسمه على مؤخرة مأساة ،
ومخر عباب هذه البحار ذات النجوم الخادعة ،

ولكنه ، بسبب من جهله ، غرق تحت أشرعته ،
قبل أن يظهر علمه أمام الرياح ،

واذا ليس امامه سوى اللجج السوداء المقفرة ،
محيط العمل المثقل جدا بالعواصف ،

حيث كل موجة تحمل وتحطم ألف رأس •
وهناك ، بعد ما طفا بضعة ايام بلا قوة ولا مصباح ،

عام فكره في اثناء احدى الصحف ،
طوافة اليأس التي كثيرا ما ينشرها النوتية الجائعون

الذين يتيهون ويغرقون •
وغرق فيها كذلك ،

وكذلك لانه جائع ،
فعل ما يفعله كل انسان عاجز وبلا طعام •

« اني أئن ، قال ، لان لي روحا مسكينة ،
« ضعيفة كروح أية امرأة

« تعجز عن متابعة الطريق التي بدأتها
« فتخر صريعة عند الانطلاق في كل طريق مرسومة •
« وما ان تلوح لي فكرة في الافق

« حتى يسحق نورها نظري ويرده حاسرا •
« وأرى العقبة تتضخم وسط ركام لا يقهر

« فأسقط كما بولس وهو في طريقه الى دمشق •
« ـ لماذا ، يقول لي الصوت الذي يجب أن أحبه وأخشاه

« لماذا تتبعني ، انت الذي لا يستطيع ان يحتضنني ؟

« ـ الشعاع يهزني والصوت يصعقني ،
« فأظل اعمى وأحس انني ملعون • »

ـ ٣ ـ

« كلا ، صرخت به ، وأنا آخذ يديه بين يدي ،

« لا في الشرائع الكبيرة للعقائد القديمة
« ولا في عقائدنا الباردة ، المصنوعة في المعمل ،
« بين مقعد المعلم ومقاعد التلاميذ ،
« هؤلاء الأثينيون الزائفون المجردون من البلاغة ،
« الذين ينفخون في أعيننا فقاعات السفسطة ،
« لم يكتشفوا كلمة للحكم على أعمى البصيرة
« اكثر من أعمى البصر ٠

★

« كفى تألما من دون ان نحكم باننا مذنبون
« لاننا حاولنا وعجزنا ٠
« فبقدر ما أحب القوى أحب الضعيف الجسور
« الذي يلقي زندا ضعيفا في امواج عاصفة ،
« ويغوص في جحيم البحيرة المتجمدة ،
« ويروح يصارع حمم بركان عميق .
« سيزيف السرمدي هذا ، الجميل ، المتوحد ، المثخن بالجراح ،
« المحترق ، الساقط من شاهق ، من دون أن يطلق صرخة واحدة ،
« وأن يعترف ابدا انه ينزف وأنه يسقط
« وهو يحمل صخرته من جديد وهي تسقط من جديد ٠
« واذا ما احتقرتك عقول مجيدة بلغت اعلى المنازل
« فأحتقر انت احتقارها ،
« لان هذه الذروة العليا ، المسيطرة على كل مجد ،
« ليست العقول فيها ، كما قد يتوهم النظر ٠
« ابدا ليس الانسان فوق ٠
« فالاقوياء يجدون أمامهم جبلا جديدا لم يكن مرئيا من تحت ٠
« وفلان الذي نعتقده كاملا واستاذا في كل شيء ،
« لا ينبىء بالمعارف التي يفترضونها خطأ فيه
« ولا بالهدف العظيم الذي حاول عبثا بلوغه ٠
ـ كل انسان رأى الجدار الذي يحد فكره ٠
« بؤس الجسد هو السبب لا بؤس الروح ٠
« ففي خدمة العقل اعضاء رديئة ،
« تلمس ، وهي تصارع العقبات وتقهرها ،
« ما تستطيع بلوغه ، لا ما يبتغيه العقل ٠
« وهي تتحدث ، تراجمة غير دقيقة ، لمؤلف سماوي ٠٠٠
« وهي تغني وتتوق الى البقية ٠

« ولكي اقدم لك ، هنا ، تشبيها ما ،
« انظر الى نايك واسمع صوته
« هل هو ذاك الصوت ذاته الذي ارادت الشفة اخراجه ؟
« أليس أكثر او أقل خشونة او نعومة ؟
« هذه العيوب كلها في الخشب الكثيف !
« نفخك كان محكما وغناؤك معيبا ٠
« أما أنا الجاهل كل شيء المتنقل بين الشك والحلم ،
« فانني أعتقد بان الروح ، بعد الموت ،
« وبعد ما ينفك اتحادها بالجسد
« ستستعيد الرؤية والوضوح ،
« وأنها ، اذ تحاكم عملها في صفاء ،
« مدركة بلا عقبة ، ومبينة بلا مشقة ،
« ستكون كأخواتها السماويات قادرة وملكة ،
« وستزن ذاتها بالوزن الصحيح ، وتعرف بالمشاهدة
« ان نغمها كان معيبا بسبب من الآلة المعيبة ،
« وانه لم يكن مجيدا ولا رديئا ، لانه لم يكن طليقا ،
وأن الجسد فقط هو الذي كان يحول دون التوازن ،
« وفي هدوء ، تستعيد الروح في حضن السعادة المثالية ،
« المساواة المقدسة مع الارواح الالهية ٠ »

ـ ٤ ـ

عندئذ احمر الفقير من الفرحة المفاجئة ،
وراح يتأمل نايه برؤية اخرى ،
ثم ، لان معرفته بي صارت افضل ، وبلا خوف من منظري ،
قبل الناي مرتين علامة الاحترام ،
ولعب ، لكي يهجر الحانة القديمة الكئيبة ،
هذا « السلام عليك يا ملكة السماء » الذي ينشده الرهبان المتبتلون ٠
وبدت نظرته الحنون ملهمة ،
وكان اللحن أشد احكاما
والنفس مطمئنا ٠

---

(١) ـ المقدمة والقصيدة مأخوذتان عن مجموعة : الفريد ديفينيي ، مختارات شعريـــة ، كلاسيك لاروس ، ص ٩٤ ـ ٩٩

اغتراب

كوليت الخوري

نعيد نشر هـــذه المقطوعة للسيدة كوليت الخوري في هذا العدد معتذرين لها وللقراء عن الاخطـاء المطبعية التي وردت في العدد الماضي
● الثقافة ●

اليك
يا وطن الغربة الحقيقية
يا رجلا
تقمص آمالي السرابية
يا بعيدا ... بعيدا
بعد الفرح عن حياتي
اليــك
يا تعب الأحلام
سأتي .

★

حزمت أيامي
وحكايات الشقاء
ودون أن ألتفت الى الوراء
حملت العبء على كتفي
ومشيت اليك
بعيد بعيد أنت
يا وطن الاساطير الخرافية
بعيـــد
والطريق وعرة
والزاد ثقيل
والرحلة اليك اغتراب
بعيـــد
وعمري سؤال
والزمن يمضي
والجواب
لا تقدر أن تقوله
فأنت طفل يخاف الطفولة
يا طفلا يخاف ما يحب
بعيد أنت
ورحلت اليك .
صرخ صوت :
« كيف تتركين الوطن ؟ »
وطنـــي ؟
طعم الدماء في فمي
عروقي تضـــج بالعويـــل
المـذبوح
وفي مسامي
تعشش رائحة العفن !
وطني ...
الغلالات الدخانية
تعشي ناظري
الجبـــال المطعونة تقوس
ظهـــري

والتراب العطشان
يصيح في ذراتي ..
« يا ساخر يا زمن
كياني هو الوطن ! »
لكن الصوت لا يدري
صرخ :
« كيف ترحلين ؟ »
تمتمت في شجن :
« وطني صدر رجل أحب »
وتعثرت اليك
وطنا يبحث عن وطن !

★

قل لحجابك أن يدخلوني .
السماء ظلام
والهواء سموم
والنحيب اختناق
الطريق صحراء
والغاية سراب
والامل الهزيل احتراق
وأنا وحدي
جرح قد انتسى
قل لحجابك أن يدخلوني
يا رجلا
يرفض البوح بالأسى
يا سؤالا طفلا
يغدو يتيما
أيام البؤس والمآسي
والعذاب
يا عتابا سجينا
يطل خلف الحواجز
الأسوار
والضباب
قل لحجابك أن يفتحوا
الأبواب
أعطهم كلمة السر
لقد حملتها اليك
ومثلي أنت تعرفها
حضنتها في أعماقي دهراً
فترنحت من عبئها رؤاي
حبستها في أهدابي عمرا
فاحترقت بها عيناي
اليك وحدك سأقدمها
يا رجلا
لم تثن عزمه المحن
كلمة السر
دمعة
قطرت فيها الوطن

★

مد لي ذراعيك
ولا تسل من أنا !
حملت أيامي اليك
وجئت أقص عليك
حكايات قديمة منسية
عن ظمأ الدموع المهدوره
وحرقة المرافىء المهجوره
وأوهام المبادىء الوهمية
أعرف أنك تعرفها
يا رجلا
حمل الخيبة مثلي وما انحنى
لا تسلني من أنا ،
فأنا ...
أنا الارض التي لا ترتوي
ولا تريد ارتواء
أنا التراب المحروق
وهو غارق في الدماء
أنا بلادك
أعيش من غير سماء
مشردة وحيدة بائسة
لا أبغي الهناء
ولا أطمع بالمنى ...
لا تسلني من أنا
يا رجلا
يتنفس في حروفي الغزلية
أنا المرأة الأزلية
أنا الباحثة عن الوحشة
في صدر رجل لا ينحني
فأين صدرك
يا وطن الغربة الحقيقية
يا وطني ...

كوليت الخوري

★

وفاة شاعر المهجري شكر الله الجر

كان أحد بناة الأدب المهجري في البرازيل

تــواری في لبنــان ـ في الثــالث والعشريــن من شباط عام ١٩٧٥ ـ وجه من أكرم وجوه الشعر في المهجر الجنوبي وانبلها ومن بناة الادب المهجري في البرازيل انه وجه الشاعر شكر الله الجر ، ابن قرية بحشوش ، قــرب جبيل ، على الشاطىء اللبناني ٠

ولد شكر الله عام ١٩٠٥ ، ودرس الدروس الابتدائية في مدرسة الضيعة ، ثم انتقل منها الى مدرسة جبيل ، ولكن الحرب العالمية الاولى اضطرته الى قطع دراسته ، بسـبب اغلاق المدرسة ٠ وبعد الحرب التحق بمدرسة الحكمة في بيروت سنة واحدة ٠

كان أخوه الاكبر عقل الجر قد سبقه الى الهجرة الى اميركا الجنوبية ، وأقام في مدينة ريوديجانيرو في البرازيل٠ وبعد ان استقر هناك ونجحت اعماله التجارية ، استدعى أخاه شكر الله فلحق به الى هناك عام ١٩٢٣ ، وراح يعمـل معه في التجارة حتى عام ١٩٣١ ٠ وفي ذلك العام انصرف عن التجارة الى العمل الصحفي فانشأ مجلة ادبية دعــاها الاندلس الجديدة ، وانشأ كذلك جريدة اسبوعية دعـاها ـ الحرية ـ ، ومضى يصدر الاثنتين معا ٠

وفي عام ١٩٣٢ مضى شكر الله الى مدينة سانباولو ، حيث كان يجتمع العدد الاكبر من الادبــاء المهاجرين ، لدعوتهم الى التجمع في رابطة او عصبة كتلك التي كــان جبران رئيسا لها حتى وفاته في المهجر الشمالي ٠ ونجحت دعوته ، فتألفت ـ العصبة الاندلسية ـ وانضم اليها أكثر الادباء والشعراء المهجريين في البرازيل ، وتولى رئاستهـا الشاعر ميشال معلوف ، خال الشعراء الثـلاثة ـ فوزي وشفيق ورياض المعلوف ـ ٠ وجعل شكر الله مجلته ـ الاندلس الجديدة ـ منبرا لها، حتى ظهرت مجلتها ـ العصبة وأصبحت المجلتان معا من المنابر الرئيسية لاقلام الادباء والشـعراء المهجريين ، ومن أهم أسباب شهرة الادب المهجري ٠

وفي عام ١٩٤٢ ، وبسبب الحرب العالمية الثانية ، أصدرت حكومة البرازيل قرارا بمنع صدور أية صحيفة بغير لغة البــلاد الرسمية ـ البرتغــالية ـ ، فتوقفت ـ الاندلس الجديدة ـ والعصبة عن الصدور ٠ وبعد الحرب عادت ـ العصبة ـ الى الصدور ، الى ان توقفت نهائيا عا ١٩٥٢ ، اما ـ الاندلس الجديدة ـ فلم تعد الى الحياة ٠

في المهجر كان شكر الله من أغزر الشعراء والادبا انتاجا في الشعر والنثر ، فالى جانب تحريره لمجلته وجريدت أصدر في النثر كتابين ، هما : ـ المنقار الاحمر ـ ، في النق الادبي ، و ـ نبي اورفليس في تمجيد خليل جبران ٠ وق وضع هذا الكتاب الاخير على غرار ـ يسوع ابن الانسان . لجبران ، وبمثل أسلوبه وطريقته وبيانه ٠ أما في الشع فقد أصدر ديوانين هما : الروافد ـ وزنابق الفجر ٠

في عام ١٩٤٥ توفي شقيق شكر الله ، الشاعر عقــ الجر ، وله من العمر ستون عاما ، ودفن في سانباولو ٠ و يكن قد جمع شيئا من شعره او نثره في كتاب ٠ وظــ شكر الله يعاني مرارة الشعور بالوحدة والغربة ٠ ولم يه له في المهجر ما يتطلب بقاءه اكثر مما أقام ٠ وفي ١١ تمو ـ يوليو ـ عام ١٩٦٢ ، وبعد غربة طالت اربعين عاما عاد الى لبنان، وأقام في مدينة جبيل ـ بين بيروت وطرابلس وانصرف الى العمل الادبي وحده ٠ وكان من أهم شواغل أن يعيد رفات أخيه عقل من البرازيل لكي يدفن في لبنان وأن يجمع شعره في ديوان ينشره على الناس الذين عرف عقل الجر بين أبرز شعراء المهجر الجنوبي ٠ وفي عام ١٦٤ صدر عن ـ دار الثقافة ـ في بيروت ـ ديوان عقل الجر

بهمة شقيقه شكر الله · ثم في صباح يوم الاحد ١٠ كانون الاول ـ ديسمبر ـ ١٩٦٧ عاد رفات عقل الجر الى لبنان ، ودفن في مدينة جبيل · وبذلك اطمان قلب شكر الله الى ما أداه من واجب نحو شقيقه الراحل ونحو شعره ·

وعكف شكر الله في الوقت نفسه على جمع اعماله الادبية النثرية والشعرية ، القديمة والجديدة ، وعلى تنقيحها وتنسيقها ، وراح ينشرها تباعا · في هذه الفترة الجديدة، في لبنان ، صدر له نثرا روايتان ، هما : ـ الشبح الابيض ـ وجزر الخطيئة ـ ، وفي الشعر صدر له ديوانان، هما : ـ أغاني الليل ـ وبروق ورعود ـ ومطولتان جمعهما في كتاب واحد ، وهما ـ لا تنس الكورنتية ـ وقرطاجة ـ ·

كان شكر الله شاعرا مبدعا حقا سواء في شعره العاطفي ، او الوطني ، او الوصفي ، او التأملي او في شعر الحنين · وهو القائل :

« ان شعرا لم يصطبغ بدم القلب لشعر لم يصطبغ بالخلود ؟ وقد قال في شعوره بالشيخوخة ، في ديوانه ـ أغاني الليل ـ :

ان شيخوخة يطل بها المرء
على الناس بعد غض شبابه

هي أشقى عليه من كل ما أشقاه
من دهره ومن اوصابه

ما يرجى من الحياة ، وظل
الموت ينساب حالكا في اهابه ؟!

★

حين كان شكر الله في المهجر ، بدأت صلتي به ، بالكتابة ، بعد عام ١٩٤٦ ، واستمرت مراسلاتنا حتى عودته الى لبنان · ومن لبنان عاد يكتب الي ، ويبعث بالهدايا من مؤلفاته الجديدة ، وعادت مراسلاتنا كما كانت من قبل · ولم ألقه شخصيا الا في مهرجان الريحاني الذي أقيم في لبنان عام ١٩٦٥ · وكان لقاؤنا في قرية الفريكة وعند متحف الريحاني ·

وفي سنة ١٩٧٢ اضطرني داء القلب الى دخول المستشفى ثلاث مرات ، والى قضاء شهور ثمانية في الفراش· وفي اثناء مرضي تلقيت رسالة من شكر الله يستهلها بالشكر ، فيقول :

سامك الجهد فوق ما يجب
فاتق الله ، انه الادب !

مورث النابغ المفكر أدواء
وأدنى صنوفها التعب

ليس بدعا أن تشتكي ألم الضغط
وفي النفس للضنى سحب

أي قلب ـ نظير قلبك في الاحساس
والنبل ـ ليس يضطرب ؟

هو قيثارة بقلبك ، كم غنت
فغنى الجمال والطرب

تتراخى اوتارها بعض حين
ثم بعد استراحة تثب

غيمة في سماك رانت على القلب
ستجلى ، وتنجلي الكرب

ويعود الهزار يصدح في الايك ،
فتزهر السفوح والهضب

★

وفي الرسالة عينها يحدثني شكر الله عن نفسه وعن أمراضه فيقول : انا بدوري أصبت بتقطع في النبض ، وثورة في الضغط ، توقفت معهما عن النظم والكتابة · انها جهود القلب والفكر ، يا أخي وفيها ما يوهن ويضني ·

وزرته عام ١٩٧٤ في منزله في جبيل ، فألفيته هناك وحيدا مع شيخوخته ، ومع أمراضه ، في الطابق العلوي من المنزل · وحين دخلت والقيت عليه التحية ، لم يعرفني ، فلما ذكرته بنفسي قام يعانقني عناقا راعشا متعبا ، انهكه المرض ، وهدته السبعون ، التي ليس من عادتها أن تهد او تتعب · وحين غادرته بعد أكثر من ساعة ، أيقنت انها الزيارة الوداعية ، واننا لن نلتقي بعدها · كذلك قال لي شعور داخلي ·

ولقد كانت فعلا زيارة الوداع ، فقد مضى شكر الله ، وتوارى جثمانه في ثرى لبنان الذي أحبه بكل قلبه ، وتغنى به في شعره : مغتربا ومقيما ·

عيسى الناعوري

مدرسة الجاحظ

بقلم : نديم الحلواني

تقدمة :

من الطبيعي أن يقوم النثر الى جانب الشعر في أي عصر من العصور ، واذا كانت رغبة الناس جميعا تنصب على الشعر فانني سأحاول ان أدرس هذا النثر مبتدئا من منبعه في العصر الجاهلي حتى أصل الى مصبه في بحر اوسع على يد الجاحظ امام الكتاب العرب دون ريب ٠

اعتمد النثر في العصر الجاهلي على القصص والامثال السائرة وكان يقوم في بعض الاحيان على الخطب الحماسية وخطب التفاخر بالانساب والاحساب والمآثر كما وجد في هذا العصر طائفة كانت تدعي أنها تعرف الغيب والمستقبل وعرفت باسم الكهان وكانت تعتمد على السجع بشكل رئيسي ٠ الا ان انشغال الناس في ذلك العصر بالشعر حال دون تطور هذا النثر ولكن اذا تجاوزنا هذا العصر ـ العصر الجاهلي ـ لندخل بهدوء العصر الاسلامي نجد أنفسنا مبهوتين بهذه القفزة الرائعة التي خطاها النثر العربي لذا علينا ان نقف قليلا على العوامل التي أدت الى هذا التطور المذهل ٠

فنزول القرآن الكريم حاملا دعوة جديدة اسلامية وبلاغة الرسول البيانية في أحاديثه وخطبه واسلوب الخلفاء الراشدين في رسائلهم وخطبهم ٠٠٠ كل ذلك أدى الى خطوات مديدة قضت على سجع الكهان وخطب التفاخر بالاحساب والانساب ووضعت بدلا منها الخطب الدينية التوجيهية لقضايا المجتمع الاسلامي ٠ واذا انتقلنا من العصر الاسلامي الى العصر الاموي وصلنا الى العصر الذهبي للخطابة كما

سماها الدكتور احسان النص ٠ فقد انحسرت في هذا العصر البذور التي زرعها العصر الجاهلي والعصر الاسلامي فبدأت الاحزاب السياسية تعبر عن اهدافها وغاياتها بهذا النثر

الرصين المحكم وبالتالي رد الكتاب الموالين للخلفاء الامويين على هؤلاء وأخذ كل فريق منهم يأتي بالادلة العقلية والبراهين الجدلية يثبتون بها دعواهم وحججهم ٠

واذا كنا قد قدمنا بشكل بسيط وقصير لهذا التطور النثري خلال العصور السابقة لعصر بني العباس فاننا عندما ندخل هذا العصر يطالعنا عدد كبير من الكتاب المشهورين ليس في عصرهم فحسب وانما حتى عصرنا هذا ٠

وقبل ان نطرق باب هذا العصر نحب ان نتعرف على هذا التطور الشامل الذي طرأ عليه ٠

فلقد اختلطت الاجناس والثقافات وامتزجت العلوم والافكار وتأثر العرب بالامم الاعجمية واثروا بهم فولد كل ذلك حركة فنية جديدة وتطورا اجتماعيا وفكريا حققا غايات جديدة في المعنى والاداء والصور ٠ فبدأت الترجمة تعرف العرب على ثقافات الامم الاجنبية وازدادت ثقافة الشعراء والكتاب وكثر اطلاعهم وبالتالي فاننا سنجد ظهور ذلك من خلال نتاجهم الفني والادبي ٠

واذا كان حديثنا الان ينصب على النثر فاننا سنترك الشعر وما طرأ عليه من تجديد وتغير لنوجه انظارنا الى أبرز كتاب هذا العصر ـ عصر بني العباس ـ ولكن قبل أن نضع ايدينا على رأس العربية لا بد لنا من ان نحط الرحال قليلا على كاتب مترجم لقب بابن المقفع وهو فارسي الاصل ظهرت عليه علامات الفصاحة والبلاغة فكتب لعمر بن هبيرة في العصر الاموي وكتب لعيسى بن علي في العصر العباسي ٠

اتهم انه زنديق وانما اتخذ الاسلام قناعا لزندقته ولكنه على الرغم من ذلك لم يفكر في الرجوع الى لغته بل اتخذ العربية مثله الاعلى وحاول ان ينقل اليها خير ما عرفه في لغته الفارسية وفي لغات اخرى كاليونانية والهندية فترجم كتاب ارسطو وقصص كلية ودمنة الا انه زاد عليها بعض الفصول وحرف بعضها الاخر كما نقل عن الفهلوية بعض الرسائل اشهرها الادب الكبير تناول فيه الصداقة وبعض القضايا السياسية يقول في الصداقة :

« ابذل لصديقك دمك ومالك ولمعرفتك رفدك ومحضرك وللعامة بشرك وتحفتك ولعدوك عدلك وانصافك واضنن بدينك وعرضك عن كل أحد ٠ ان سمعت من صاحبك كلاما يرضيك او رأيا يعجبك فلا تنتحله تزينا به عند الناس واكتف من التزين ان تجتني الصواب

اذا سمعته وتنسب الى صاحبه » ومن أشهر الرسائل ايضا الادب الصغير عالج فيه الشيم والاخلاق والمعاملات بين الناس يقول فيه : « مما يدل على علم العالم معرفته بما يدرك من الامور وامساكه عما لا يدرك وتزيينه نفسه بالمكارم وظهور علمه للناس من غير ان يظهر منه فخر ولا عجب » .

ومن الرسائل الهامة رسالة الصحابة اراد بها اصحاب الحكام والملوك وحاشيتهم وهي في العموم تعرض لسياسة الدولة العامة .

والطريف ان ابن المقفع عندما قام بنقل هذا كله لم تستعص عليه تلك اللغة بل أظهرت من المرونة ما استطاعت به ان تحمل هذا التراث كله .

أهم ما يميز كتابات ابن المقفع انه كان مترجما بالدرجة الاولى وكان يميل في هذه الترجمات الى استعمال الالفاظ الدارجة والشائعة البسيطة ودون الاغراب او استعمال الحوشي من الكلمات وكان يجري في اسلوبه على الطبع والسليقة دون أن يتصنع لا من ناحية المعاني ولا من ناحية اللفظ وهو بهذا العمل طوع اللغة العربية لدخول الثقافات العديدة وفتح الباب واسعا امام الكتاب والتراجمة الذين جاءوا من بعده .

بعد هذه الدراسة البسيطة للكاتب ابن المقفع نريد ان نقف وقفة اطول واشمل عند الكاتب الكبير الجاحظ الذي تأثر ـ ولو بشكل بسيط ـ بترجمات ابن المقفع وكتاباته .

الموضوع :

يوضع الجاحظ ـ عمرو بن بحر ـ على رأس كتاب العصر العباسي دون منازع وهو من اصل عربي ولد بالبصرة عام ١٥٩ هـ وسمع من الاعراب الفصحاء في المربد واختلف الى حلقات العلماء في المسجد الجامع وكانت أهم حلقة تعجبه حلقة المتكلمين التي تعتمد على الجدل والبرهان بنثر رصين محكم . كما اقبل الجاحظ اقبالا شديدا على قراءة كل ما ترجم من الثقافات الاجنبية وهذا العكوف على القراءة والمطالعة هو الذي جعل كتبه ورسائله أشبه ماتكون بدوائر معارف .

كان الجاحظ من المعتزلة وهو تلميذ النظام وقد استطاع خلال اعتزاله ان يؤلف مجموعة من الآراء اطلق عليها اسم الجاحظية .

اتصل الجاحظ بكبار رجال الدولة العباسية وهؤلاء كانوا يوادونه ويصادقونه لكونه كاتبا عظيما ولشخصيته المرحة . وقد عني الجاحظ بتأليف الكتب والرسائل وترك عددا كبيرا جدا منها وبذلك نال شهرة مدوية في عصره . ولعل العمر الطويل الذي عاشه الجاحظ من اهم الاسباب التي أغنت واكثرت من تأليفه وكتابته . فكتب الجاحظ رياض زاهرة ورسائل مثمرة وهي تعلم العقل أولا والادب ثانيا . وكتاباته ذات موضوع قبل ان تكون ذات اسلوب وليس معنى ذلك انه كان يهمل الفاظه وتراكيبه بل كان يعنى بهما عناية شديدة ولكنه كان يكره العناية البالغة باللفظ ويطلب من الكاتب ان يوفق بين المعنى واللفظ دون ان يجور أحد الفريقين على الاخر .

تمتاز هذه الكتب الكثيرة انها عالجت مواضيع كثيرة عامة ومنها موضوع النبات والشجر والحيوان والانسان والقيان والعشق والنساء ومنها موضوع الجد والهزل والبيان والتبيين والبخلاء ...

من أشهر كتبه كتاب البيان والتبيين وقد أراد من البيان الفصاحة والقدرة على الخطابة والتأليف وصفات الكلام الذي يتصف بالجودة وأراد بالتبيين كيف يكون الكلام جميلا والتعبير لطيفا والمعنى شريفا .. نترك هذا الكلام ليتحدث هو عن ذلك فيقول : « .. واحسن الكلام ما كان قليله يغنيك من كثيره ومعناه في ظاهر لفظه وكان الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله فاذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا وكان صحيح الطبع بعيدا من الاستكراه ومنزها عن الاختلال مصونا عن التكلف صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة . ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة ونفذت من قائلها على هذه الصفة اصحبها الله من التوفيق ومنحها من التأييد ما لا يمتنع معه من تعظيمها صدور الجبابرة ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهلة » ..

وقد وجه في هذا الكتاب حملة واسعة على الشعوبية وبين ذلك الغيظ والحقد الذي يملأ صدورهم وذكر ان هذا الغيظ والحقد قد اثرا في نفوسهم فعوقبوا على حسدهم بذات انفسهم ثم اقام الجاحظ حجته على ذلك وناقش حججهم مناقشة عقلية فيها جدال قائم على أسس منطقية والتفت التفاتة ذكية حين رد على استهزاء الشعوبيين من العصا التي يعتمد عليها الخطيب العربي وقت الخطبة وذكر ان النبي سليمان وهو نبي أعجمي كان يتكيء عليها دائما .

يقول في بيان نفسياتهم وغيظهم من العرب : « ثم أعلم انك لم تر قوما قط أشقى من هؤلاء الشعوبية ولا أعدى على دينه وأشد استهلاكا لعرضه ولا أطول نصبا وأقل غنما من أهل هذه النحلة . وقد شفى الصدور منهم طول جثوم الجسد على أكبادهم وتوقد نار الشنآن في قلوبهم وغليان تلك المراجل الفائرة وتسعر تلك النيران المضطربة » .

ومن كتبه الشهيرة كتاب البخلاء وهو من أمتع الكتب وأجملها ، تحدث فيه عن البخل والبخلاء مقابل الكرم

والكرماء وروى في الكتاب قصصا كثيرة عن مشهوري البخلاء من المعاصرين وغيرهم اخذا في ذلك طريق التصوير والتغلغل في النفوس بمقدرة وبراعة لا تجارى •

ويمكننا ان نقرر ـ برأيي الخاص ـ ان الجاحظ كان هدفه من هذا الكتاب الرد على الشعوبيين ايضا وعلى بخلهم بشكل خاص مقابل كرم العرب وجودهم ذلك لان الاشخاص الذين تحدث عنهم كانوا من الاعاجم وكذلك المدن التي تحدث عنها كانت في بلاد العجم الفارسية وهذا رد طريف غير مباشر على هؤلاء الشعوبيين •

من أشهر قصصه في هذا الكتاب قصة الحزامي وهي قصة أعطتنا صورة من صور حياة الجاحظ وصدى لنفسيته المرحة وقدرته على الدعابة وهي ايضا بينت لنا كيفاستطاع الجاحظ أن يصوغ القصة بأسلوب مشوق متتابع مسترسل وبقدرة عجيبة على أن يخلق من حادثة بسيطة كلاما مرصوفا جميلا ومعبرا • فمن حيث الصياغة فانجاحظ لم يلجأ الى ضروب التلوين البياني والبديعي اي الاسلوب غير المباشر وانما مال الى التعبير المباشر بلغة مفهومة وبعبارة بسيطة دون أن يميل الى السجع بل مال الى الازدواج في الجمل الذي أكسبها نغمة موسيقية عذبة •

تهدف هذه القصة القصيرة الى غرضين : الاولتصوير موقف انساني والثاني تنفير الناس من البخل بشكل غير مباشر •

ولا بأس لنا أن نعرض مقطعا من هذه القصة :

« قال وكنا عند داوود بن أبي داوود بواسط أيام ولايته كسكر فأتته من البصرة هدايا فيها زقاق دبس فقسمها بيننا فكلنا أخذ ما أعطي غيره فانكرت ذلك من مذهبه ولم أعرف جهة تدبيره فقلت للمكي : قد علمت ان الحزامي انما يجزع من الاعطاء وهو عدوه فأما الاخذ فهو ضالته وأمنيته وانه

لو أعطى أفاعي سجستان وثعابين مصر وحيات الاهواز لاخذها اذ كان اسم الاخذ واقعا عليها فعساه أراد التفضيل في القسمة قال أنا كاتبه وصداقتي أقدم وما ذلك به وان

هاهنا امرا ما نقع عليه فلم يلبث أن دخل علينا فسألته عن ذلك فتعصر قليلا ثم باح بسره قال : وضيعته «خسارته»

أضعاف ربحه وأخذه عندي من اسباب الادباء قلت أول وضائعه احتمال الشكر قال هذا لم يخطر لي قط على بال

قلت فهات اذن ما عندك قال : اول ذلك كراء الحمال ثم هو على خطر حتى يصير الى المنزل فاذا صار ، صار سببا لطلب العصيدة والأرزة فان بعثه فرارا من هذا صيرتموني شهرة وتركتموني عنده أية • وان أنا حبسته ذهب في العصائد وأشباه العصائد وجنب ذلك شراء السمن

جنب السمن غيره ، وصار هذا الدبس أضر علينا من العيال ••• »

ومن الكتب العلمية المشهورة عند الجاحظ كتاب الحيوان وقد اعتمد فيه على التجارب الشخصية وعلى تجارب أصدقائه وهو كتاب علم وأدب تطرق فيه الى وصفالحيوان ـ أليفه ووحشيه ـ وعادات الناس معه وفائدة الانسان منه واستطرد في بعض اجزائه فأورد بعض الآيات والاشعار والامثال التي تتحدث عن هذا الحيوان •

اعتمد الجاحظ في هذا الكتاب على عدد من المصادر اليونانية ككتاب أرسطو وعلى الروايات التي نقلها العرب اليه ثم على مجهوده الشخصي من مشاهداته ومراقباته لهذا الحيوان من أمثلة ذلك حديثه عن طبائع الكلاب فيما يتصل بالتعلم والتجربة العلمية •

وقد أعطانا الجاحظ في هذا الكتاب فكرة واضحة جيدة عن كيفية استيعاب اللغة الفصحى لموضوعات العلوم المتعددة والخوض فيها في جميع المجالات الادبية والعلمية وغير ذلك •

اعتمد الجاحظ في هذا الكتاب على الاسلوب المباشر وابتعد عن الصور البيانية والبديعية الا القليل الذي يأتي عفو الخاطر كما ترك السجع واختار الاسلوب السهل والعبارة اللطيفة الجميلة القريبة الى الفهم والتي استمدها من المعاجم اليومية المتكررة في أسماع الناس الا انها كانت متماسكة ورصينة وغير معقدة •

ومن أشهر رسائل الجاحظ رسالة التربيع والتدوير ورسالة الاصنام وحيل اللصوص وتفضيل الزنوج على البيض ورسالة الفرق بين الجن والانس والملائكة ورسالة في أخلاق العامة وغير ذلك كثير •

تعد رسالة التربيع والتدوير من أشهر الرسائل التي ذكرناها وقد أنشأها في هجاء أحمد بن عبد الوهاب • فقد كان بينه وبين هذا الرجل خصومة فأراد أن ينال منه ويطعن فيه ويتهكم عليه فكان ان جاد بالوصف المطول شخصا وخلقا ورأيا وطريقة تفكير واعجابا بالنفس وما يتعلق بذلك •

وهي أثر من آثار الجاحظ في المقدرة البيانية والبديعية وهي تعطينا فكرة واضحة على مقدرة الجاحظ أن يدبر رسالة كاملة في وصف انسان من حيث خلقه وخلقه في تطويل لا يمل واستفاضة ليس فيها كثير من الزيادات ولا من التكرار وانما فيها من المقدرة على رصف العبارات الجميلة ومتانة الجملة وقوة البناء لا تجارى عند كاتب آخر •

يقول في أولها : « كان أحمد بن عبد الوهاب مفرط القصر ويدعي أنه مفرط الطول وكان مربعا وتحسبه لسعة جفرته واستفاضة خاصرته مدورا وكان جعد الاطراف قصير الاصابع وهو في ذلك يدعي السباطة والرشاقة » ..

تناول الجاحظ في هذه الفقرات من صفات هذا الرجل الجسمية وعكس هذه الصور لشخصيته فرسم لنا هذه الشخصية المضحكة بعبارات جميلة متينة .

يقول ايضا في هذه الرسالة ساخرا من هذا الرجل ومبينا قلة سماعه وغفله وجهله بالامور وادعائه انه عارف بجميعها ...

« وكان قليل السماع غمرا وصحفيا غفلا . لا ينطق عن فكر ويثق باول خاطر » .

وبعد أن بسطنا أهم مؤلفات هذا الكاتب العبقري وعرفنا هدفه منها وطرحنا بعض النماذج القليلة من كتاباته والتي اعتمدنا في بعضها على ما قاله الدكتور رضوان الداية في محاضراته بقسم اللغة العربية بعد هذا كله لا بد لنا من أن نجمل خصائص هذا الكاتب العظيم .

اعتمد الجاحظ في كتاباته على الكلمة والجملة فتميزت الكلمة بالدقة الناتجة عن ارهاف حس وذوق في اختيارها وعن خبرة باللغة واتساع في الثقافة وتميزت الجملة بالتنسيق والاتقان فخلت من الركاكة والاضطراب .

كان أسلوبه في معظمه مستويا متلائما مع بعضه الآخر يكاد يكون خاليا من التنافر والاستبعاد .

كان للجاحظ نظرية في المعاني والاسلوب فالالفاظ عند وسيلة لاظهار المعاني وابرازها وأن خير الكلام ما كان في الفاظه متآلفا متناسقا مع معانيه واذا كان الجاحظ استخدم في كتاباته السجع فذلك كان عن قلة وقد عوض عن ذلك باستخدام الازدواج والتوازن والتوقيع وبانتقائه

الكلمات والتراكيب . وقد أدى هذا الازدواج والتوازن الى شيوع التناسق في الكتاب وحسن التاليف وظهور عنصر الموسيقى . الى جانب ذلك نجد عنصر التكرار في كتاباته فهو يكرر العبارة والمعنى ولكن على صيغ مختلفة وهذا ناتج اما عن القصد التعليمي واما لانه أملى كتاباته املاء والاملاء عادة يستلزم الاعادة والتكرار .

كما اننا نجد في بعض كتابات الجاحظ تأثره بالمعتزلة والتي تعتمد على الجدل والنقاش والبرهان وعلى القوة في الاسلوب والمتانة في التراكيب والرصانة في الجمل ويبدو هذا الشكل واضحا في قصة الحزامي التي نوهنا عنها سابقا .

من الملاحظات الهامة في اسلوب وكتابات الجاحظ ظهور عنصر الواقعية . فقد شغف الجاحظ بحكاية الواقع حتى انه يذكر السوءات والعورات من غير مواربة ولا حشمة وهذه النغمة من الواقعية في آثاره أثرت في كتاباته ولعل أول هذه الآثار اننا نجده يحكي أحوال عصره ونفسياتهم ويكشف أسرار عاداتهم وتقاليدهم بحيث تعد أعماله هذه أهم المراجع التي تكشف عن حقائق هذا العصر الذي عاش فيه .

وأثر آخر أثرته الواقعية في كتاباته انه كان يحكي كلام المولدين والعوام بما فيه من لحن وخطأ وغير ذلك وأثر أخير هو ما يمتاز به من عدم عنايته بالتشبيهات والاستعارات الا ما جاء عفو الخاطر والارتجال .

من أهم ما يميز اسلوب الجاحظ عنصر الاستطراد الذي ينقلنا فيه من باب الى باب ومن خبر الى خبر ومن شعر الى شعر الى فلسفة ومن جد الى هزل وكان هدف الجاحظ من كل ذلك أن لا يمل القارىء من كتاباته ويمتعه ويكسر في نفسه الملال ويعطيه قوة جديدة للمتابعة الى جانب ذلك منهج الجاحظ في الاتساع وعدم الاكتفاء بموضوع واحد وربما أراد من الاستطراد أن يثبت لنا ثقافته الواسعة وطريقته في مزج المواضيع .

ويشيع ايضا في اسلوب الجاحظ عنصر الدعابة والمرح فهو مشغوف بالفكاهة يمزج الجد بالمزاح والحقيقة بشيء من غيرها . ولقد كان في حياة الجاحظ ذاتها اشياء كثيرة تدلنا على ان هذه الدعابة والمرح لم تكن تبدو على الورق فحسب ولكنها كانت عنصرا من عناصر تكوين شخصيته وقد سرد أخبارا عن نفسه تدل على تلك الروح الدعابية ، ويلحق بعنصر الدعابة عنصر آخر هو عنصر التهكم والسخرية فالجاحظ لم يكن من الادباء الذين يهاجمون خصومهم هجوما مباشرا ولا يعاديهم بالشتائم والسباب ولكنه كان يعتمد على العبارة التهكمية وعلى السخرية المضمنة المختفية اعتمادا رئيسيا . فنحن نقرأ مثلا قصة الحزامي ولا نجد فيها كلمة للبخل او كلمة ترمي صاحبها بالبخل ونحن ايضا نقرأ رسالة التربيع والتدوير فلا نكاد نعثر فيها على شتيمة او سبة ولكنه التهكم الخفي والسخرية المبطنة .

وكان الجاحظ من خلال ذلك كله ينفذ الى دقائق النفوس فيصورها تصويرا حيا حينا ومعنويا حينا آخر .

هذه هي أهم خصائص الكاتب الكبير الجاحظ المدرسة الكاملة التي أثرت تأثيرا كبيرا على الكتاب الذين جاؤوا من بعده وارجو أن أتابع كتابتي هذه عن الكتاب الذين تأثروا تأثيرا كبيرا باسلوب معلمهم الجاحظ وخاصة ابن قتيبه والتوحيدي في اعداد قادمة ان شاء الله . .

نديم الحلواني



غرفة شاعر

حامد حسن

غرفتي ليل ، ومصباحي ضرير   ان تلاشى ضوأ الليل الضمير
كل ما أملكه قيثارة   وكتاب ، وسرير ، وحصير
غرفتي شعر ، وفقر ٠٠٠ بوركت   حالتاها ٠٠٠ بورك العذب المرير
ينعس الليل على شباكها   ويضج الشعر فيها ، ويثور

★ ★

نزل الصيف ضلوعي ، ودمي   بعد ما عربد فيها الزمهرير
وتحدى الشمس جفني بعدما   أكل النوم جفوني والفتور
سكر الليل ، وغنى ، كلما   نغم الهمسة ، أو هف الحرير
وخطايانا ـ على آثامها ـ   انها في زفة النور عطور !!
يتشهى ، يحلم الفجر بها   كيف لا يحلم بالكنز الفقير؟؟
لو على الصحراء منها رشة   نديت ، واعتل ، وابتل الهجير

★ ★

نحن عطر العطر في أعراسه   جن فينا ، وتشهانا العبير
نقطع الشطآن ٠٠ لكن لم يزل   دون ما نبغيه ميناء أخير

★ ★

كلما جنحتها شد بها   ودعاها للثرى طين حقير
فاتركيني في سمائي ، وارجعي   أنت بنت الطين ، وابن النور نور

حامد حسن

خلّي جرارك

مأمون موررللي

لا تعبثي ·· بالسمع ·· بالاعصاب بالحلم الوثـير··
بالبسمة البيضـاء في ثغري بأهـــداب الـزهور
او تنزعي لـون الصفـــاء عن الطفولـــة والحبور
او تحرقي اوراقنـا ·· او تهـدمي أغـــلى سطوري
من كل نهـدة خافق اذكيتهـا دفء الشـعـور
لا تعبثي ·· بالخافق المحبوس ·· بالصـدر الكبير
اني ·· لأكبر من جمـاح الغدر في صوت الضمير··!

★ ★

اني منحتك كل تكويني ··· وكنت بـلا مصـير
وسلخت عن جنبيك ما فعلتـــه أرواح الحجـور
وزرعت في عينيك أنضر بـارق يـندى بنـور
ومسـحت شـعرك بالنسيم عـلى شراع من عبـير
وسكبت في شفتيك أشـهى دافئـاتي من خموري
حتى اذا رقص الهـوى ··· وتعطلت لغة الطيور
وتنفس النيسان من شفتيك اطيـاب الـزهور
وتـورد التفـاح وانفتقت ستور عـن سـتور
لوحت في شال الجفا ··· ولبست ثوبـا مـن غرور·
··· خلي جرارك في زواياهـــا الى يوم مطــير··
قولي لمن يرد الغدير لقـد نزحت عن الغـــدير
عيناي مصهما جفافـك وانتهيت عـلى قشوري
فلبست حالي وارتحلت أضم في صـدري مصيري
لا أين تحملني خطاي ··! وكيف يأخذ بـي مسـيري
وبقيت احضن خـــافقي في زحمة الصمت الكبـير

★ ★

قولي لمن بعدي·· لقد سقطت حروفك من سطوري··



عجوز همنغواي

تحليل نقدي للشخصية

بقلم : سمر روحي الفيصل

أربعة وثمانون يوما كان فيها « سانتياجو » العجوز يرتاد البحر صباح كل يوم ويعود منه مساء خالي الوفاض بادي الانفاض ، غير أنه لم يعتزل الصيد ولم ييأس من الحظ الضارب عنه بعيدا . لقد كان دوما يستشرف الامل بعيدا في الافق ، كان يردد دوما : « كل يوم هو يوم جديد، يحمل أملا جديدا . ان حسن الطالع شيء رائع ، ولكني أوثر اذا عملت شيئا أن أحسنه ، فاذا واتاني الحظ كنت متأهبا لاستقباله » / ص ٤٦ / .

لقد اصطاد في اليوم الخامس والثمانين سمكة كبيرة أضخم من الزورق الذي يركبه ... كانت سمكة قوية بحيث اقتادت المركب ـ وقد علق الكلاب (بتشديد اللام المفتوحة) في فمها ـ ثلاثة أيام متتاليات لقي فيها الصياد العجوز أهوالا وآلاما يضيق عليه وهو في هذه السن احتمالها ، بيد أنه صمد لها وظفر أخيرا بالسمكة ، فضربها على رأسها بحربته حين ظهرت على وجه الماء ، وربطها الى زورقه وبدأ يعود الى الشاطىء يجرها كما كانت هي من قبل .

لم تنته معركة العجوز بعد ، فقد أخذت القروش تتسارع الى السمكة يدفعها سيلان الدماء منها ... أخذت المعارك تتتالى بين العجوز والقروش في طريق العودة كله ، يقتل العجوز قرشا ليظهر آخر ... انكسرت حربته وسكينه وبقي دون شيء ، تكسرت أسلحته على أجساد القروش المهاجمة التي انتصرت أخيرا فأكلت لحم السمكة ولم تترك للصياد العجوز سوى هيكلها العظمي .

عاد العجوز الى الشاطىء دون السمكة ، لكنه عاد منتصرا ، عاد يقول : « ان الزورق سليم .. انه سليم لم يصبه ضر فيما عدا القضيب ، وهذا ما أستطيع أن أعوضه بسهولة » / ص ١٤٩ / .

لم نرد مسخ عمل همنغواي حين قررنا إيراد هذا الطرف الصغير الذي لخصنا به قصته العجوز والبحر ... لم نرد ذلك ، غير اننا أردنا الاشارة الى مضمونها القصصي الذي نستطيع قراءتها به بالقدر الذي قرأها به غيرنا على مستوى الرمز الديني خاصة .

قلت اننا نستطيع قراءتها عن طريق السردالقصصي بدءا من انطلاقة العجوز الى البحر ليجرب حظه بعد اربعة وثمانين يوما من الاخفاق ، الى حين عودته من ذلك الغياب الذي استمر ثلاثة أيام قضاها وحيدا مع السمكة الكبيرة والبحر والزورق .

- ١ -

لم يكن الصياد شابا ، كان عجوزا « جسدا ناحل العود ، توغلت في قفاه غضون عميقة ، وقد عدت حرقة الشمس في انعكاساتها على مياه البحر ، على بشرته عدوانا قاسيا ، فملأت خديه بالبثور ، واستدارت فنثرت الكثير منها على جانبي وجهه . أما كفاه فقد حفرت فيهما الحبال التي طالما جرر بها الاسماك الثقيلة ، جراحا عميقة الغور ليس بينها جرح جديد ، فهي جميعا قديمة قدم الحفريات في صحراء عديمة السمك . كان كل ما فيه عجوزا مثله .. إلا عينيه ، عيناه كانتا في صفاء مياه البحر ، يطل منهما المرح وعدم الاعتراف بالهزيمة » / ص ١٥ / .

● العجوز والبحر آخر قصة كتبها القاص الامريكي أرنست همنغواي ، وقد نال عليها جوائز عدة ، وكانت مقدمة لنيله جائزة نوبل ١٩٥٤ . وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على الطبعة العربية الصادرة عن روايات الهلال بمصر سنة ١٩٧٤ بترجمة صالح جودت .

هذه هي الصفات التي يخلعها همنغواي على عجوزه ، هو عجوز حقا ، ويضيف بعدئذ : هو فقير ، وحيد ، جانبه الحظ حتى ان والدي الغلام الذي كان يعينه اضطرا الى سحب غلامهما لايداعه عند صياد آخر ذي حظ في الصيد ٠ هذه الصفات هي صفات مادية خارجية للعجوز قد يشارك فيها كثيرا من الصيادين ، واذن فلا بد لهمنغواي من خلع صفات أخرى مميزة لصياده العجـــوز حتـــى يكون متميزا من شاطىء مليء بالصيادين ٠٠٠ لقد كان الصيـــــاد ـ أيضا ـ شابا في مضمونه ، لم تستطع السنون تحطيـــم فتوة روحه ، فقد أخفق في أن يكون صيادا ناجحا أربعـــة وثمانين يوما ، ومع ذلك خرج في اليوم الخامس والثمانين كأن شيئا لم يكن فكل يوم هو يوم جديد عنده ٠ يقـــول همنغواي : « وذكر العجوز أن اليوم التـــالي هو يومه الخامس والثمانون في البحر ٠٠٠ وقد مر ما مر من الايام بغير صيد فقال للغلام :

ـ خمسة وثمانون ؟٠٠٠ لعل هذا الرقم مجلبـــة للحظ ، ما ظنك بي لو رأيتني أخرج بسمكة تزن أكثر من ألف رطل ؟ » ٠

تركه الغلام الذي ألفه وأحبه فلم يكترث ، بل إن موقفه كان ايجابيا اذ انه حث الغلام على العمل مع الصياد الجديد لعل حظه أوفر ، ورزقه أكثر ، وتجاربه أشمل ، أنظر هذا الحوار بينهما :

« ـ إن أبي هو الذي حملني على تركك ، واني لغـــلام ولا أعصي له أمرا ٠

ـ نعم يا ولدي هذا طبيعي ٠

ـ انه قليل الثقة ٠

ـ أما نحن فكلنا ثقة ، ألسنا كذلك ؟

ـ أجل ٠ » / ص ١٦ / ٠

★

ان هاتين الصفتين الرئيسيتين : كبر السن ، وفتوة الروح ، هما الصفتان المميزتان للصياد عـلى تناقضهما ٠ وفي مجرى القصة كلها نلمح هاتين الصفتين تتصارعان في نفس واحدة :

الشيخوخة تدعوه الى متطلباتها ، فهو يتمنى أن يكون الغلام معه ليعينه على أمر الصيد ، انظر في ذلك أقواله :

ـ « لو أنك كنت ابني لخرجت بك الى الدنيا لتغامر معي ، ولكنك ملك لابيك وامك » ـ ص ١٩ ـ ٠

ـ « ليت الغلام كان معي ٠٠ ان سمكة تقطرني وأنا المقطور » ـ ص٦٠ ـ ٠

ـ « ليت الغلام كان معي الان ٠٠ » ـ ص ٦٥ ـ ٠

ـ « كم كنت أتمنى أن يكون الغلام معي » ـ ص٦٨ ـ

ـ « كم كنت أتمنى لو كان الغلام معي » ـص٧٥ـ

ـ « لو كان الغلام هنا لبلل لفة البلل ٠ أجـل ٠٠٠ لو كان الغلام هنا !٠٠٠ ميته كان معي » ـ ص ١٠٤ ـ

ألم تلحظ « ليت » هذه التـــي تتكرر في كل جملة ؟ أليست هي الشيخوخة عينها ، تلك الشيخوخة التي تـــرى في الشباب ماضيها ومعقد رجائها ، الشباب الذي يحقق ما عجز الشيخ عن تحقيقه ٠ أليست « ليت » هذه هي الضعف كل الضعف عند العجوز حين كانت تحزب أموره مع السمكة فينوء كاهله بحمل هـــذه الآلام الجسام ، وهـــذا السهر المتواصل ، وهذا العمل المرهق ، وتلـــك المعارك عـــلى خطورتها ٠٠٠ ألم يكن شيخا حقا حـين كان يتمنى لو أن الغلام معه ؟!٠٠ هو عجوز وهذا ما قرره همنغواي نفسه، بل ما قصد اليه **قصدا** ٠

الضعف الجسدي من سمات الشيخوخة أيضا ، فقـــد انهك العجوز من الحبال التي يلف بها ظهره بعد ان مضت عليه ثلاثه أيام والسمكة تقطره الى حيث لا يعلم ٠٠٠ لقد تقلصت يده ، ثم جرحت ، واصابه البرد ، وتكاثرت عليه الآلام والنعاس ، واخيرا « حملق بالبقية الباقية من الابصار في عينيه ، وأمسك ببعض حبال الحربة المشدودة الى حنية الزورق ، ثم اعتمد رأسه بين يديه وقال له :

ـ لا تفقد توقدك أيها الرأس ٠

وانكفأ على لوحات الحنية وهو يقول :

ـ انني عجوز مجهد ، ولكنني صرعت هذه السمكة ـ ص ١١٨ ـ ٠

من مجالات الشيخوخة ثالثا الحكمـــة في النظر الى

الامور ومعالجتها ، والصبر على المكاره ، واجترار الذكريات ٠ فقد كان العجوز ينظر الى الطير فيقول :

« ان حياة الطير أقسى من حياة البشر ، فيما عدا الطيور السارقة والكاسرة ٠ لماذا خلقت هذه الطيور الصغيرة بهذه الرقة وهذا اللطف ، وخلق المحيط بهذه القسوة ؟٠٠٠

ان المحيط رفيق ورائع الفتنة ، ولكنه يستطيع أن يكون قاسيا كل القسوة في غمضة عين ٠ وهذه الطيور المحلقة تغوص وتتصيد ٠٠٠ انها بأصواتها الرقيقة الحزينة أرق من أن تستطيع مواجهة البحر » ـ ص ٤٢ ـ ٠

وحين تجره السمكة بعد أن علقت بالكلاب يمضي يحدث نفسه قائلا : « ان السمكة على اثر غدري بها لم تجد بدا من الاختيار ٠٠٠ ولقد اختارت البقاء في الماء العميق القاتم، بعيدا عن جميع الاحابيل والفخاخ ووسائل الغدر ٠ أما أنا ، فقد اخترت أن اسير معها بعيدا عن جميع البشر ، وها نحن الان مصير كل منا مرتبط بمصيرالاخر منذ الظهيرة ، ولا من يعينني أو يعينها » ـ ص ٦٦ ـ ٠ كان رفيقا بالسمكة التي اصطادها حتى انه قال لها : « اني أحبك واحترمك كثيرا » ـ ص ٧٣ ـ ، غير أنه كان مصرا على اصطيادها ولهذا يعقب جملته بقوله : « ولكني سأصرعك حتى الموت قبل ان ينتهي هذا اليوم » ٠

قد يطول حديثنا اذا نحن رحنا نتلمس في القصة كل ما يدل على شيخوخة الصياد ، ولعل في الذي أوردناه كفاية متبلغ ، ولننتقل الى النقض الثاني في هذا الرجل ، الى كونه فتي الروح ، اذ ان هذين النقيضين لا ينفصلان في القصة كلها ، فهو وان كان عجوزا ضعيفا غير انه لم يكن يقنع بالقليل ، وقد « لا أكو نقويا كما اعتقد ، ولكني اتذرع بكثير من الحيل ، واتزود بالعزيمة » ـ ص ٣٢ ـ ٠

ان فتوته دعته الى عدم اليأس من الصيد فلا بد « ان تكون سمكتي الضخمة المنشودة في مكان ما تنتظر قدرها » ـ ص ٤٨ ـ ٠ هو مؤمن بهذا ولذلك أبحر في اليوم الخامس والثمانين ، وعلق حبله ذو الكلاب بسمكة ضخمة لم يملك ان يصنع معها شيئا فانتظر حتى تصنع هي به ما تشاء ٠٠٠ وكأني به يدفع عن نفسه الضعف في محاولة نفسية لاستبعاد الواقع المنظور ، صحيح انه استسلم للسمكة غير ان استسلامه كان عن بصيرة بما يفعل فلن « تستطيع هذه السمكة ان تجر الزورق الى الابد مهما كبر حجمها » ـ ص ٢٠ ـ ٠ هو يخاطبها في احيين كثيرة فيقول لها : «ايتها السمكة ٠٠٠ سأظل معك حتى اموت»ـص٢٠ـ

ويده حين تتقلص لا يعفيها من اللوم « ايه يد انت ٠٠٠ تقلصي ما شئت فهذا لن يعفيك من العمل » ـص٧٧ـ وحين تتانم اليد أكثر يرفق بها فيقول : « اصبري يا يدي ٠٠٠ انني أصنع كل هذا من اجلك » ـ ص٧٨ ـ ٠

ان عزيمته ، عزيمة الشباب ، لا يتسرب اليها وهن أو كلال أو يأس ٠٠٠ لقد قرر اصطياد السمكة فاصطادها، ثم قرر الدفاع عنها فاستمات في ذلك حتى ان احد القروش يعض سمكته في طريق العودة فيقتله وهو على يقين من ان قروشا اخرى قادمة الى السمكة وان امامه معارك كثيرة فيروح يهمهم : « لقد كان الامل الذي تحقق اجمل من ان يطول ٠ كم كنت اتمنى لو ان ذلك كله كان حلما ٠٠٠ ولو أنني لم أظفر بالسمكة ، ولو انني وحدي في مخدعي أتوسد الجرائد ٠ ثم عاد العجوز يشد عزم نفسه قائلا : ولكن الرجال لم يخلقوا للهزيمة ، وقد يتحطم الرجل دون أن ينهزم » ـ ص ١٣٠ ـ ٠

لم يكن ذلك كله ليصيب روحه الفتية باليأس و « انها لحماقة ان يستولي اليأس على المرء ، كما ان اليأس خطيئة فيما اعتقد » ـ ص ١٣٢ ـ ٠ لم ييأس حين أكلت القروش السمكة كلها بل « بصق في المحيط قائلا : ابتلعي هذه البصقة ايتها القروش واحلمي بأنك قتلت انسانا » ـ ص ١٤٨ ـ ٠ لم تقتل هذه الروح الفتية « ان الزورق بخير ، انه سليم لم يصبه ضر فيما عدا القضيب وهذا ما استطيع أن أعوضه بسهولة » ٠

ـ ٢ ـ

الصراع الذي نراه واضحا بين هذين النقيضين الشيخوخة والفتوة ، هو سلوك في الحياة دفعه الى ارتياده دافع الفتوة الذي جعله يقوم لليوم الخامس والاربعين على الصيد ، دفعته الفتوة ايضا الى ملاقاة الاهوال ومعاناة الآلام في سبيل اصطياد السمكة الكبيرة ثم في الدفاع عنها ثم في الاصرار على الذهاب للصيد بعد اصلاح الزورق ٠

الفتوة اذن دافع للاقدام على ارتياد مصاعب تحقق الرغبة في حب البقاء ، غير أن الشيخوخة تدفع العجوز باتجاه آخر مغاير ، تدفعه الى الوراء ، هي احجام عن كل ما يريد عمله، انها تدفعه لتحقيق رغبة الشيخوخة ، هي التي دفعته الى التمني الدائم بوجود الغلام معه ، وفي سلسلة أخرى من الاماني لعل اكبرها تردده في جدوى العمل الذي يقوم به . من هذين القطبين النقيضين تولد ذلك الصراع الكبير في النفس العجوز ، صراع الاقدام الاحجام كما يدعونه ... غير ان الرائع في شخصية العجوز انه كان دائما يحسم دافع الشيخوخة لحساب تحقيق دافع الفتوة ، ولعل هذا ضوء الشخصية اللامع .

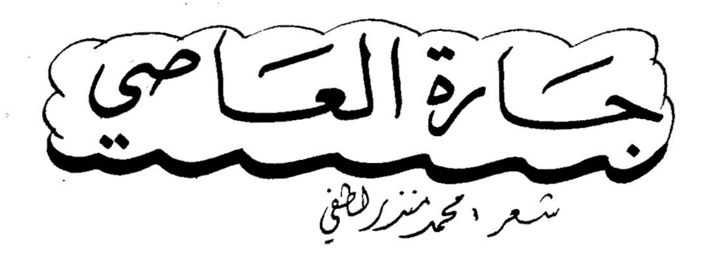
كان العجوز وحده في القصة ، كان الشخصية والاحداث ... وكانت القصة قصة انسان يكافح في الحياة ، غير انه لم يكن ينتظر من كفاحه النصر ، فليس المهم ان ينتصر الانسان ، المهم الا تهزم روحه، المهم ان يبقى مكافحا مادام في عرقه دم يجري ، ذلك ما اراد همنغواي ان يقوله ...، ودون شك فليس هذا التفسير جديدا فقد تداوله دارسو القصة زمنا طويلا ، واتخذوا القصة لاجله رمزا للكفاح المضني لبلوغ الهدف ... بل انهم فتقوا من هذا الرمز رموزا اخرى كثيرة فجعلوا البحر هو المجتمع والعجوز هو الفرد ، والفرد في خضم المجتمع يصارع كما صارع العجوز السمكة ، والفرد في خضم المجتمع ينتصر بكفاحه ومنزلته واصراره على الحياة الكريمة كما فاز في القصة ... من الدارسين من رأى في القصة رموزا دينية ، ومنهم من رأى فيها فلسفة تؤكد مجموعة من القيم المعنوية التجريدية كالحب والحق والكرامة وعزة النفس والتواضع .

لا نريد ان نضفي على القصة اكثر مما فيها ، لاننا في دراستنا الحالية ننظر الى الشخصية القصصية عند همنغواي في العجوز والبحر ، فالشخصية في هذه القصة ــ اضافة الى ما ذكرناه من الرموز ــ تستأهل وقوفا نقديا خاصا ، فهي في وقت من الاوقات ترتفع بفلسفة الرجولة الى اقصاها حتى اننا نعجب من ذلك ونتمنى لانفسنا ان نكون رجالا كما العجوز ، وحينا تسف فيغدو العجوز انسانا ضعيفا كبير السن يغرينا ويدفعنا الى العطف والرثاء ... ويبقى مع ذلك كله انسانا ، قد يكون هذا الانسان عاديا، وهذا ما يريده همنغواي فهو لم يستعمل اسم الصياد « سانتياجو » في محاولة منه لتعميم الشخصية ، وتلك نقطة من القوة بمكان .

ان الصراع عقيم مع السمكة ثم مع القروش، والعجوز يعرف هذا ، ومع ذلك فانه يستمر في الكفاح ... ولكن هل الاستمرار هو الحياة أم أن النهاية هي الحياة ، ذلك ما تجيب عنه هذه الشخصية التي تتوتر دوما بين الايجاب حتى الوثوق الاعمى بالذات ، والسلب حتى محاولة الاستعانة بالله وترديد الصلوات حين يرى العجوز ضعفه وان ليس امامه الا ربه يستنجد به في الملمات .

ان شخصية العجوز تهتز في مواضع منها اهتزازا خفيفا لا يضعفها بل يبلغ منها اذا حد التوتر ، وحينا مبلغ الانحدار نحو الضعف البشري ، فالملاحظ ان العجوز يكثر من التمني طوال القصة ، يتمنى لو أن الغلام معه ، ولو انه لم ينس الملح ، ولو انه لم يذهب بعيدا مع السمكة ، ولو ان قارورة الماء قريبة منه ، ولو انه كان غنيا ، و .... أمان متلاحقة على مدى القصة كلها تبتر في حبل الكفاح الذي تحدث عنه دارسو القصة ، فالتمني استرجاع وتوبيخ ... هو ضعف ، والكفاح قوة ، وهذان ضدان لايجتمعان ... صحيح ان هذا الاسترجاع كان تعزيزا في بعض الاحايين ، غير أنه كان في معظمه تعزيزا سلبيا ولا سيما حين كان التمني يشمل عدم القيام بالعمل كله ... بعدم الخروج الى الصيد . قد يكون هناك رابط بين كون همنغواي ــ حين كتب قصته ــ عجوزا ، والعجوز الصياد في ان كلا منهما لقي من دهره ما لا يرضيه ، وان ما فات هو الاجمل عندهما دوما ، ولا ننس ان همنغواي لم يستمر في الحياة مكافحا كما فعل عجوزه في البحر ، بل انتحر عام ١٩٦١ فأظهر التناقض الذي يبدو لنا خفيا في شخصياته القصصية كلها ، وهذا هو مفتاح القصة وسر العجوز والبحر فيها .

سمر روحي فيصل ــ حمص



في القلب منـــك تباريح واشجـان   يا مسكر اللحظ ٠٠ لا راعتك احزان
ليت الهوى ظل في جنبيك أغنيـــة   سكرى ٠٠ واحرفها روح وريحـان
وليت ان ليـــالي الحب باقيـــة   طيوبها ، ونجوم السعد اخدان
يا هاجري ٠٠ لا تطل عهد النوى حقبا   فالعمر أعذبه وصـــل وحرمان
اني ، وان راعني صـــد وارقني   فانت في خـــافقي عرس والحـان

★ ★ ★ ★

يا أشقر الشعر ، والدنيا على شفتي   قصيدة انت فيها الكـأس والحان
أهواك ، أهوى صباح البحر يحملني   في رحلة ما لهـا مرسى وشطـــآن
قلبي وللاشقر المغنـاج لهفتـــه   على المدى ٠٠ ولهيب الشوق بركان
هلا ذكرت ليالي الحب نقطعهـــا   كأسا وثغرا ٠٠ وللانسام تحنـــان
يا مسكر اللحظ ، أشواقي مجنحـة   ومحنتي ، أنني في الحب انســـان
اعيذ حسنك ، ان يغتـــاله كسـل   وللغرام كمــا للشعر شيطـــان
اعيذ حسنـك ان تذوي مفـــاتنه   يا واهب الحب ٠٠ ان الحب طوفان
اعيذ حسنك ان يـذوي فتأكلـــه   ريح الشتاء ٠٠ ويفنى الكرم والحان

★ ★ ★ ★

جـارة العـاصي

قالوا « حماة » فقلت اليوم موعدنا ... مع البطولة .. تاريخ واوطان

تمخض الليل عن جنية .. ولها ... جيش من الرعد هدار ، واعوان

هنا على ضفة العاصي عمالقة ... اسد غضاب لهم في المجد سلطان

هذي حماة حديث المكرمات على ... مر العصور ، وللطاغين خذلان (١)

يمضي الطغاة ، وتبقى رغم انفهم ... ملاعب الدهر .. والتاريخ ميدان

هذي حماة ، رباع الصيد ما برحت ... تزهو بها الاسد ، ابطال وفرسان

تفنى الليالي ولا تفنى مفاخرها ... كأنها لكتاب المجد عنوان

هنا البطولة لا يخبو لها لهب ... مدى الدهور .. ولا يفنى لها شان

* * * *

يا «عاصي» الحب ان خان القريض فلا ... تعتب ، فانت بعمر الدهر نيسان

هذي عروسك دنيا في مفاتنها ... فالوجه اغنية .. والصدر الحان

وللنواعير آهات ترددها ... امواه ساقية ولهى ... وشطآن

وللنسيم اذا مرت عرائسه ... فوق المروج مناجاة وتحنان

وللهزار مواويل معتقة ... فلا دمشق الهوى تشدو ولبنان

ويا رعى الله عاصي الحب مندفعا ... شفاهه كوثر والخد بستان

لأنت في القلب يا عاصي الهوى ابدا ... فالذكر منك ندي الطرف ريان

اذا ذكرتك هاج الشوق في كبدي ... يا ملهم الشعر ، بعض الشوق احزان

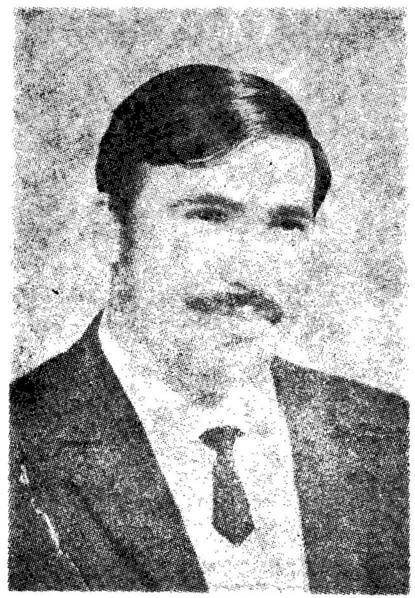
هذي عروسك سحر ، لا حدود له ... وللجمال كما للمجد اوطان

حماه **محمد منذر لطفي**

---

(١) اشارة الى معارك الجلاء التي خاضتها حماه ضد المستعمر الفرنسي





أحمد دوغان

صفحة الشعر حديقة غناء ٠٠ فيها روح النخيل ٠٠ وتصديح العنادل ٠٠ ورحيق الزهور ٠٠ وتغريدةالسواقي، والى جانب ذلك كله ٠٠ يوجد العشق المبرح لانه حقيقة الابداع في جنة الشاعر ٠٠ هذه هي حقيقة شاعرنا « أحمد علي حسن » الذي عرف العالم الادبي منذ الثلاثينات ٠٠ وجاء شاعرنا الى حلب ٠٠ ووقف في المركز الثقافي ، وفي نادي شباب العروبة ٠٠ وغنى ٠٠ وكان لي معه لقاء ٠٠

س١ : متى ولدت ؟ وهل تتحدث لنا بايجاز عن السيرة الذاتية ؟

ج ـ ولدت عام ١٩١٦ في قرية تسمى (الملاجة) تتبع لدريكيش حاليا ، وكانت تابعة لصافيتا ٠٠ وكانت ولادتي كما ذكرت ٠٠ في غمرة الحرب العالمية الاولى ٠٠ فلم يأت على رغبة من والديه ، ولم تستقبله الحياة بوجه ضاحك ٠٠ وبعد ان وصلت سن القراءة ٠٠ قرأت القرآن على والدي واخوتي في البيت ٠٠ وكان والدي ـ رحمه الله ـ خطاطا يجيد نساخة الكتب فتعلمت عليه الخط ، وكان شاعرا فدربني على الشعر ٠

في عام ١٩٣٥ هجرت القرية مع أخي الاكبر الشيخ (عبد الكريم علي حسن) الى مدينة طرطرس وهناك أسسنا مدرسة لتعليم الناشئة ، وكان التعليم كما هو مفهوم في ذلك الحين مقصورا على قراءة القرآن ، وتعليم الخط ومبادىء الحساب ٠٠ وهناك في طرطوس تعرفت على فريق من رواد الادب ، فصادفت تشجيعا منهم واتصلت بالمجلات والجرائد ٠٠ وأول مقال كتبته كان في مجلة (هدى الاسلام) المصرية وهو بعنوان (تنبه أيها المسلم) ٠٠ ومنذ ذلك الحين شعرت بالرغبة في متابعة الكتابة والنشر ، وأول قصيدة نشرتها في جريدة (الخبر) في اللاذقية ١٩٣٧وكانت بعنوان (لا تطمعي) ٠٠ وهكذا تكاملت الحياة فيما بعد٠٠

س٢ : ما هي أعمالك المطبوعة ؟ وهل هناك طي المخطوطات ؟ وما هي ؟

ج ـ المطبوعة ثلاثة دواوين ٠٠ أولها (الزفرات) في عام ١٩٣٩ وكانت بمثابة تمرين على الشعر وقد نفدت

نسخه جميعها ٠٠ وثانيهما (نهر الشعاع) وقد نفدت نسخه جميعها وكان صدوره في عام ١٩٦٨ عن دار مجلة « الثقافة » بدمشق ٠٠ وثالثها (أنداء وظلال) في عام ١٩٧٤ وقد صدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق ٠

أما المخطوطات فهي أولا (قوارير وعطور) تحت الطبع ٠٠ أيضا (ذاتي في ذاتياتي) و (هتاف المجد) قصائد وطنية ٠٠ رابعا (على قبور الاحبة) رثائيات و (حبل الله المتين) اسلاميات وقمت بجمع قصائد (ابن حزم) الاندلسي للتحقيق ٠٠ وفي النشر لي كتابان (أضواء كاشفة) تحت الطبع ٠٠ وكتاب آخر (حسن الاختيار) ٠

س٣ : القصيدة عندك تاخذ جزءا من ذاتك فالى أي شيء يرمي ذلك ؟

ج ـ لاني لا أنظم الشعر الا عندما يتخمر به احساسي ٠

س٤ : ما هو تعريفك للشعر كمنظار شاعر ٠٠ لا منظار عالم في العروض ؟

ج ـ لقد قلت في مقدمة ديواني (أنداء وظلال) : ان القافية والوزن من تعريفه ، وليست من مقتضياته ، والمتفق عليه أن لغة الشعر أسمى من لغة النثر ٠٠ ولذلك ميزه الناس ٠

س٥ : الحب صفة هامة في شعرك ٠٠ ما هو تعليل ذلك ؟٠٠

ج ـ أشعر بان الحب شيء ضروري في الحياة مثل الخبز ، ومفهومي الخاص ٠٠ ان القلب الذي يؤمن بالحب لا يمكن أن يحمل الكره ٠

س٦ : ما علاقة الشاعر بالثقافة ؟٠٠ وهل يعني ٠٠ ان الشاعر يحتاج الى ارضية ثقافية ؟٠٠ ام ان الاهم التجربة الواقعية والمعاناة الشخصية؟ وهل الثقافة والتجربة مرتبطتان معا ؟

ج ـ كل شاعر مثقف ولا يعكس ٠٠ والتجربة الواقعية والمعاناة الشخصية تزيدان الاحساس صقلا وصفاء وشعورا صادقا ٠

س٧ : كيف ترى الحركة الشعرية في القطر العربي السوري ٠٠ وهل تبحث عن هوية شمولية ، أم ان المحلية تاخذ طابعا خاصا في كل محافظة ؟

ج ـ بشكل عام على ما أرى أن قطرنا العربي السوري أغنى الاقطار العربية بهذا النتاج ٠٠ إلا ان الصراع القائم بين الحديث والقديم قد جعل من الشعر عامة ٠٠ مادة مستهلكة ٠٠ نحن أمام جيلين في هذا القطر ٠٠ فالجيل الذي جاء بعد العشرينات تأثر ببدوي الجبل وعمرأبي ريشة والاخطل الصغير ٠٠ والجيل الذي جاء بعد الاربعينات تأثر بأدونيس ويوسف الخال ونازك الملائكة ٠٠

س٨ : ما هي أهم الموضوعات التي كتبت فيها ٠٠ وهل أثارتك ناحية ما في ظلال الشعر ؟

ج ـ أهم الموضوعات التي كتبت فيها هي التي تتعلق في مجال الفكر الناقد ٠٠ أما الشق الثاني من السؤال فأكتفي بما سلف من جواب في سؤال سابق ٠

س٩ : ما رايك بالشعر الحديث (شعر التفعيلة) او الشعر المنثور ؟

ج ـ الحديث من الشعر نوعان منه ما هو مقبول ، ومنه غير مقبول لانه حمل اسم الشعر ظلما ٠٠ أما القديم فاعتبره هو الاصل ٠٠ ولا بد أن يكون للاصل فروع شرط أن تحتفظ بنسبها ٠

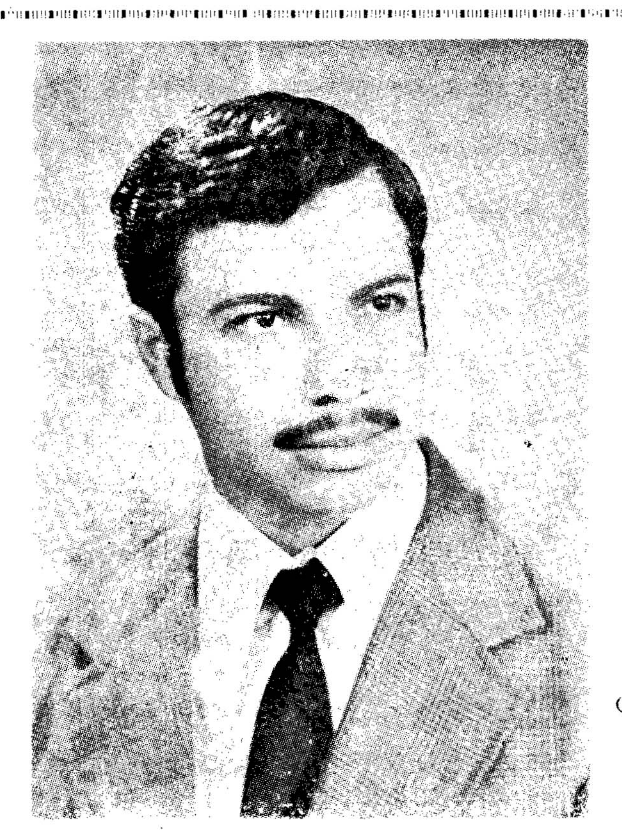
س١٠ : ما هي أمانيك تجاه الشعر ، النشر ، الشباب ، تجاه ذاتك ؟

ج ـ أماني تجاه الشعر أن يعطى حقه ٠٠ والنشر أن يعتمد على ما يكتب لا على من يكتب ٠٠ والشباب ألا يستبق الزمن ٠٠ وأن يكونوا مؤمنين بذواتهم ولا الى حد الغرور وأماني تجاه ذاتي أن أكون كما يراني مقدري ٠٠

س١١ : هل لك سؤال تحب ان تطرحه ثم تجيب عنه ؟

ج ـ لكل سؤال جواب ٠

حلب ـ مكتبة الثقافة **احمد دوغان**



الوشاح

شعر : رضوان الحزواني

« شردت خصلة ذهبية على جبينها الوضيء، فسارع الوشاح اليها »

أغرق التبر في عنـــاق الوشاح   باشتياق من بعد طول جمـــاح

وأوى ينشـــد الأمان بعيـدا   عن عيون وعن لصوص وقـاح

وتثنت ضـفـــيرة تتمطـــى   بهنــــــاء محبب وانشـــراح

هو كنزي أيا وشاح فصنـــــه   انمـــا فيك حزمة من صبـاح

انمـــا فيك جـدولي وحراجي   ومحاصيل غــابتي المسماح

هــو كنزي أغـار أن تتمـــلاه   طيـــور وأنجم وأقـــاح

هو كنزي أنــــا غيور عليه   ان تعانقـــــه نفحة التفـــاح

أو تهفهفـــه نسمة من أريـج   أنا أخشى عليه لثم الريـــاح

أنا أخشى من قبلة المشط أو من   لمسة النور والسنـا اللمـــاح

★ ★

ليتني كنت ـ يا وشاح ـ وشاحا   ألثم التبر في كنوز المـــلاح

رضوان الحزواني ـ حماه

فصول في النقد التطبيقي

* أسطورة الصحراء * ومناجيات أسعد علي

بقلم: عبد الله الطنطاوي

- ١ -

ترى .. هل يشعر القراء بعذاب الناقد ؟.

عندما يقتني القارىء العادي اثرا ادبيا ، يطالعه في متعة ماتعة .. يطوي كشحه عما لا يعجبه ، ويفتح قلبه لما يعجبه ، وهو يتنقل من اثر الى آخر ، فرحا بما اطلع ، آملا بزاد جديد يرفعه ويزكيه ..

اما الناقد ، فانه يتعذب ..

يتعذب مرة عندما تقع عينه على نتاج قد لا يرتضيه ..

ويتعذب الف مرة ، عندما يقع تحت سحر نتاج متفرد ..

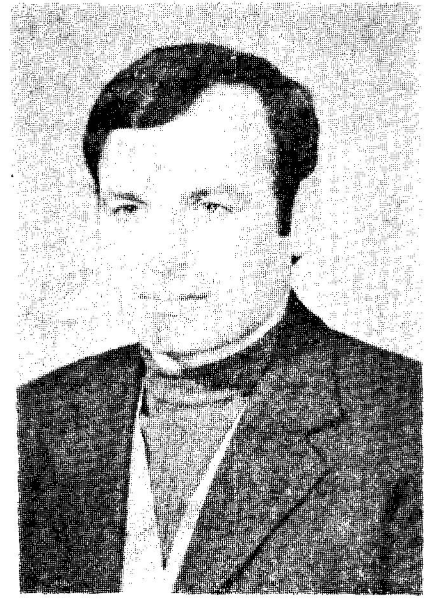
يتعذب لانه يريد نقل ما احس به الى قرائه ، وفي الدرجة الحرارية التي هو فيها فيفسد ذلك عليه متعته ، ويعذبه ..

ولئن احسست بالعذاب مرة ، وانا اطالع بعض نتاجنا الاصيل ، انني لاحس بالوان العذاب وانا اطالع (لانك حبيبتي ، او اسطورة الصحراء) للشاعر اسعد علي ..

هذا الرجل الروح ، تراه معك ، قريبا منك ، ولكن عبر الاثير ، فوق طيات الغيوم .. انه يحلق بك فيما هو يحدثك ، وروح تعرج معه ، تصعد ، تصعد ، تصعد ، لا تحس بالزمان ولا بالمكان ولا بوطأة الجسد ، وثقل اللحم والدم . ـ تسمو فوق كثافة الحيوان ، لتصير روحا يهوم في عليين ، يمتاح من الكوثر عذبه القراح ، ويقطف من الفردوس ثمراته السماح .. فردوس الانسان .. ـ الانسان السامي الانسان المتسامي على لذاذات الطين وعشوائية الغدد .

انه شاعر وفيلسوف

امتزج الشعر بالفلسفة لديه امتزاجا محببا في تشكيل فني عبقري لذيذ .. تقرأه فينثال بك الخيال التهقرى عبر القرون ، الى خيام فارس وعلائي العرب ، وقد ترى التعانق مع ابن عربي احر واشد ، لانه الجامع بين خمرة فارس ـ بما فيها من قوة الشد والجذب ـ وصحوة الصحراء .



● عبد الله الطنطاوي ●

واحاشيك ان تحسب ، انني اظنه كالزهاوي الذي لقبه جهلة زمانه بفيلسوف الشعراء او شاعر الفلاسفة ، وما هو من الشعر ، وما من الفلسفة في شيء ذي بال .

انه نمط جديد ؟.. ربما . قد ؟.. ربما .. كيف ؟.. سأقول لك .

- ٢ -

يستوقف المتأمل هذا التباين الكبير بين المجاني من جهة ، وبين وزن الكلمة بالذهب من جهة اخرى فالدكتور اسعد علي كان قدم نتاجه الفني والعلمي مجانا لمن يشاء من اهل المعرفة والاختصاص .. قدم رسالته الدكتورية (فن المنتجب العاني وعرفانه) وديوانيه (عاصفة ـ وروح الفدائي) مجانا للناس ، حيث وضع الاول في نظارتي الجامعتين : اللبنانية واليسوعية ، ليأخذه من يشاء ، ووزع الديوانين لصالح العمل الفدائي .

هذا هو الوجه الاول . اما الوجه الثاني للدكتور الشاعر ، فيظهر في هذا الثمن الغالي الذي يضعه لديوانه الاخير (لانك حبيبتي) وهذا ـ في الحقيقة ـ ليس

ديوانا ، بل هو قصيدة من ديوان ، قدم لها بمقدمة تأتي على تفصيل موضوعاتها ·· جعل ثمن هذا الديوان مئـة ليرة لبنانية ، أي ما يعادل مئة وسبعين ليرة سورية تقريبا، وهو لم يتجاوز التسعين صفحة

وقد يكون الاغرب من هذا السعر · تلك الحفـاوة البالغة في اخراج الديوان ، فغلافه مؤطر بالزهر النابت فوق ما يشبه النرجس ، وصفحاته يحمل كل منها لوحـة الاطار والتوزيع الشعري للكلمات التي خطتها براعـة الفنان احمد الذهب على ورق تيبو روما (فابريانو) ثـم الزنار الازرق الذي زنر به الديوان ، وكتب على وجهـه الاول ، كتاب حب وحرية بماء الذهب ، كما كتب بالماء نفسه على بطانة الزنار ، يطلق قارئه فوق جاذبية الزهد، وفوق جاذبية الشهوة بالغناء المحب للجمال · وعلى بطانـة الوجه الثاني للزنار ، كتب الناشرون ، مقدمته تحـرك الحداثة في التراث ، وتبعث طفولة في الزمـان والشعر ، توقظ شاعرية في الدين والحضارة ·

اعود لاسأل :

ما سر هذه الحفاوة في الاخراج ؟··

وما سر هذا الارتفاع في السعر ؟·

وهل يتفق هذا السلوك الذي يبدو ماديا صرفا ، مع السلوك المجاني الذي الفناه من اسعد على السالك الزاهد؟·

لقد عودنا الدكتور ان نفكر قبل ان نطلق الاحكام· فما وراء ذلك ؟·

اظن ان وراءه سرا لعله يبدو في جانبين ·

١ ــ لعله اراد بتصرفـه الاول ان يقول ، ينبغي أن يكون الفكر ابداعا وتأريخا ، في متناول الجميع ولصالح الشعب قارئا ومحاربا ·

٢ ــ ولعله أراد بالتصرف الثاني ان يقول : لـكن الفكر ينبغي أن يكون محترما مقدسا معتبرا فوق كـل القيم ، فزنار الديوان اثمن من ربطة عنق تباع بمئة ليرة لان تلك مؤقتة لا تخدم الا الجسد الظاهر ، اما هذا الزنار فهو يجعل كتاب (حب وحرية) والحب والحرية يخدمـان الجسد والروح معا ، الحب يوحد بين الناس ، والحريـة تجعل علائقهم من مستوى الانسان الحر الذي يختار أحبابه بذاته ، ويختار محباته بطبعه ولا يقبل فروض العبودية وافتراضاتها ·

وكذلك كل لوحة من صفحات الديوان ، بما كتب عليها من كلامٌ شعري ضبطت به عواطف انسانية اثمن من لوحة تستهلك في التهاني او في التعازي ·

فالقضية ــ اذن ــ قضية دفـاع عن الفكر وتنبيه للمفكرين ليعرفوا قيمة ما ينتجون وتنبيه لمن اعتادوا أن يقرأوا مجانا الى قيمـة ما يقرأون ، والى قيمتهم في ذات نفسه ·· فنتاجه هو هو ، ومقدمته (لانك حبيبتي ··) نقد نثري كرسانته الدكتورية وقصيدته (لانك حبيبتي) مثل ديوانيه السابقين ، عاصفة وروح الفدائي ، ومع ذلك نراه يبذل الديوانين والرسالة الضخمة للجميع كمـاء الحياة ، فهو في تصرفه هذا ، يشير الى قيمة ما يقدم ·

عبر في الاولى عن شعبيته واندماجه في الجمـاهير بلا تعيين ·

وعبر في الثانية عن ضرورة لفت نظر الجماهير الى قيمة الفكر الذي يقدم لهم ، ولعله اعتبر هذه القصيدة ، حصته من نتاجه · وهو حر في ما يحب ، حر في ما يقدر وفي ما يرغب أن يكون نصيبه من نتاجه ، وهذا لا يعني انه في بقية نتاجه اقل مستوى منه في هذه القصيدة التي أرادها قلبا لمفهومات الحضارة ·

أو لعله أراد ــ من جهة اخرى ــ أن يلفت الانتبـاه الى ما يكتبه في هذه القصيدة فيصبح الرمل بلا ماء ــ كما كان يقال عن الصحراء ــ خلقا آخر في مفهومات الحضارة الحديثة ، هكذا أراد أن يفاجيء قارئه من مطلع القصيدة·

أنت اسطورة الصحراء ··

وما ادراك ما اسطورة الصحراء ؟

يقولون ، انها رمل بلا ماء ··
وأقول

بل هي معشوقة السماء
أحبها الله

جعلها اما لمعجزاته
من عليائه أشرف عليها
فأمطرها بالوحي والانبياء

ترى ·· ماذا عساه يفعل صاحب سجدة الشعر عندما يتلو هذا الكلام ، او عندما يسمعه منغما تتغنى به حنجرة عبقرية ؟··

وماذا عساه يفعل أمير شعراء الصحراء الملك الضليل لو سمع بهذا السحر الحلال ؟··

هل تغنى شعراء العرار والقيصوم ورادة البان والعلم بمثل هذا الحداء ؟٠٠

من فطن من الشعراء وغير الشعراء الى (معشوقة السماء) هذه ؟٠٠

كيف عشقتها الذات العلية فأمطرتها بالوحي والانبياء ؟٠٠

هاتان الملاحظتان ٠٠

١ ــ المفهوم الحضاري الحديث للصحراء

٢ ــ المفهوم الفني لتوقيع الموسيقى الراقصة بكلمة مكتوبة ــ كما سيأتي :

هذان المفهومان وحدهما كشفان ينبغي أن يكونا غاليي الثمن ، كالمنتجات الحضارية التي تمنحها دماء الصحراء للناس اذ تحبل بجنين الرمال ، لينهض بها عملاقا من الخصب والثراء ، يفجر الارزاق ، ويثير البراكين ، يدفع الصخور ، ويزلزل الارض ويجمد البحر٠

أنت آلهة الرمال

شعرك جدائل النخيل
وثغرك عناقيد تمر وبلح

وقامتك طموح النخيل

ونهداك كرتا الليل والنهار

هل هذا وصف مادي حسي ؟٠٠ شعر ، وثغر ٠٠ قامة ونهود ؟٠٠

معاذ الخيال من الاسفاف

انها معتقات من معتقات فارس ، حلق مع خالق الاساطير ، فجاب الشرق والغرب ، تجاوز الزمان والمكان، فكانت تهويمة من تهويمات ابن عربي والشيرازي وجلال الدين ، وفوقها وتحتها ٠٠ حيث ــ

يتعالى الصمت في معارج الطمأنينة

وتخشع الاصوات ٠

الهذا كان الثمن غاليا ؟٠٠ ام لهذا احتفى بالشكل والاخراج ؟ ٠

حقا ان ما اتفق عليه الناشرون يخرج الروح من الجسد ٠٠ ولقد شهدت بعض هذا في الجدل المثار حول الزنار ، وما استهلكه من وقتهم الثمين ، وهم يقلبون الآراء حول ماهيته ، لونه ما يكتب عليه ، حتى أشفقت عليهم ، وخاصة عندما تبادر الى ذهني انهم يفعلون مثل هذا في كل خطوة من خطوات النشر والتوزيع ٠

- ٣ -

يتألف الديوان من مقدمة نثرية كانت على شكل رسالة وجهها الى اخيه صاحب ان ذولين ، اثارت عددا من القضايا، سنعرض بعضها بعد قليل ، ثم ثلاث مقدمات شعرية لقصيدة (اسطورة الصحراء) التي تشكل المشهد الثامن او القارة الثامنة او القصيدة الثامنة من مجموعته الشعرية المخطوطة (شرقية) كتب مسودتها في خمس وخمسين دقيقة استغرق تبييضها اسبوعا كاملا ، وهذا هو الذي طبع بعض اجزائها بطابع العقل المحض ، حيث تراجعت العاطفة ، بل انحسرت والشعر ــ في رايي ــ عاطفة اولا واخيرا ٠٠ تجربة شعورية حية موحية ، ثم لا شيء وراء ذلك ، وبهذا يكون الطابع العقلاني نشازا فيها ، او قلقا على أقل تقدير ٠

الا ترى أسرى في الشرط ؟

والهاويه في الهوى ؟

والمقدمة الاولى :

اشهد أنه لا انت في الارض كما أنت ٠

وجاء في المقدمة الثانية :

اكتشف عالما لم ازره من قبل
يخضر بقامتك مجد الصحراء

ويحلو بعينيك ماء البحر

شرقية أنت
ثمارك حكمة شرقية
وابتسامتك الوان الشروق

ومجيئك فتوحات حجازية

(ارجو ان تتذكر هنا الفتوحات المكية لابن عربي)
عطرك ميزان وزنت فيه الجمال والحب

وجاء في المقدمة الثالثة التي أرادها مدخلا لقصيدته:

نويت الشعر ثيابا للمصيف

فعمرت لك في كل الفصول

اسطورة الصحراء

وجزيرة في عين البحر
وشمسا تغيب لتشرق

وارضا تدور لتستقر

في احدى وستين قارة
كل قارة منها
ام لمعجزات عذارى

ثم أوقدت بخوري

واسررت صلاتي

ان محراب الشعر يتطلب سجدة للشعر ·· ورحم الله شاعرنا القديم عندما كان يخر ساجدا ويقول لملاحيه :

انتم تعرفون سجدة القرآن ، وأنا أعرف سجدة الشعر ، فكيف اذا كان الشعر من هذا النمط العالي ، يرفعك

ويزكيك ، وانت في هذا وذاك تدور لتستقر ، وتغيب لتشرق ؟··

أثارت الرسالة المقدمة عدة قضايا :

- **قضية الاخراج والثمن الغالي ·**
- **قضية التوزيع الموسيقي ·**
- **قضية الرمز ·**

واذا كنا قد انتهينا من القضية الاولى ، فلنبدأ في الثانية :

توزيع الابيات هنا موسيقي ، لا عروضي ·· موسيقا صامتة ·· كأنك في حلبة الرقص ، لا تستطيع أن ترفع

الكلمة من مكانها ، لتحل محلها سواها ·· الموسيقا هي المنبع ، والاوزان هي القواعد · والشاعر اشد تعلقا

بالمنابع من القواعد ، واكثر وفاء لطاقة الجوع من مخازن الطعام ، ومن هنا جاءت قصيدته ليست بذات وزن من

الاوزان المعروفة ، ولكنها محافظة على موسيقيتها ، الداخلية منها بخاصة ·· وكثيرا ما تكون الموسيقا الداخلية أسر من

الموسيقا الخارجية ، بل وحتى الخارجية منها لم تستوفها البحور الستة عشر وما يلحق بها ، فهناك عشرات الالوان

لم يفطن اليها الفراهيدي وتلميذه الاخفش ومن جاء بعدهما ، لان الشعراء لم ترتفع بهم آذانهم الموسيقية الى

أعلى من تلك ، وقد يفطن اليها ويدعو دارس عبقري يجمع بين الموسيقا والشعر ، موهبة وعلما ، فيضع اوزانا جديدة

لم نعهدها فيما مضى · وانا ارى في (اسطورة الصحراء)

شيئا من هذا القبيل ، قد يخضع للقواعد والاصول ، وربما

لا يخضع ، ولكنك تحس بهذه الموسيقا الناعمة تتغلغل فيك، ولعل هذا هو ما عناه شاعرنا عندما قال :

« ان القضية قضية انفعال عند الكتابة ، وأنا أحب

تصوير انفعالي بالموسيقا ، بل أحب أن أتركه حرا يأخذ الايقاع الذي يشاء · والقطع المقفاة أخذت صورتها الحرة ، ولم اعترض عليها ، لكنني لا أحب أن ادخل في

قوالبي الموسيقية التي تحملها ذاكرتي · انني ادعها تتفجر كالبركان من أعماق الارض ، او كالصاعقة على رأس

جبل ، او تترقرق كجدول ، او تزقزق كعصفور ، وتتدلل كعذراء حسناء » ·

هي حرة ان تبدع شكلها الموسيقي الذي يستوعب حركتها الذاتية ، انها بذلك تصنع تاريخها الايقاعي

الجديد ، آخذة من التاريخ القديم ما يلائم حدوثها وحداثتها ·

« أنا لست ضد أية مقطوعة شعرية اذا حققت الشعر، وكيفما كانت موسيقاها ، ولكنني اعتبر الموسيقا الخارجية

للقصيدة ليست كل موسيقاها ، والموسيقا الداخلية والخفية أهم بكثير »·

واما الرمز فيبدو غامضا يلتبس علينا فهمه ونحن نحاول فهم هذه الحبيبة ·· ومن هنا يأتي الجدل ·· يأتي

عندما لا تكون للرموز صدى وشارات تشي بالرموز اليه من بعيد · فما حقيقة هذه الحبيبة السمراء ؟· هل هي فتاة

بعينها أم مجرد فتاة ؟·· هل هي الصحراء العربية ؟ الذات الانسانية ؟ الذات الالهية ؟··

لو أحببنا ان نسرف في التوغل الى اعماق الشاعر الزاهد الصوفي ، لقلنا ، انها حقيقة الحقائق ·· وحدة

تشمل الوجود بأسره ، جاءت من هذه الصحراء ، ثم امتدت عبر الصحارى والسهوب ، وخلف البحار ، لتشعل الشرق

ولترسل باشعاعاتها النفاذة الى العرب ، لعلها تنتشله من الوهدات السحيقة التي تردى فيها ·· ولكن ·· ألم أقل ، ان هذا اسراف ؟

أعود متسائلا ، من تكون هذه الحبيبة الشرقية ؟··
أصاغها من معتقات فارس ، فضاع منها العبير ؟ ··

أم جاءته تخطر من قلب الصحراء ، في وضوح غامض ؟··

أما السماء ، فلها شأن آخر ، عذريتها ابدية صارت، بعد ان كانت تتعالى :

تتطهر

تتزوجها البروق

تغتصبها الرعود

وبعد ان كانت السبية للغيوم والنجوم والقمر ،

والشمس والمجرات والعيون ، تحررت عندما غـدت شرقية •

يشرق منها الشعر

يدللها الطهر

يصورها الخيال

مليكة الجمال

فهي الدلال ، هي الدلال

ومع هذا وذاك ، يبقى امر هذه الحبيبة غريبا •• ففي عينيها بروق وشروق ، لا يستوعبها حرف صـاحبها المحروق بعروقه • انها الشعر ، وهي عباءة الجمال وكوفية الحب • عندما يحدثها عن شخص الهوى تتأفف وتأنف من هذا العنوان السقيم ، لان الهوى ما له شروط ، وهو يحبها يتجاوز الاساطير والتعابير والعطور ، لانها السطر والعبارة والزهر ، ولانها الليل والنهار ، والنور والنار • وتبقـى جوانب الصحراء تنتزعه من صمته ، تدخله عوالم السحر ، فيتغير كل شيء • يتغير حسب النية ، فيتحد القول والفعل فينجبان صبيا اسمه الصدق ، وينجبان بنتا اسمها الوفاء وينهض الجميع ليلعبوا لعبة الحرية •

ان حبها عجيب ، تجاوز به جاذبية الشهوة ، وجاذبية الزهد • انه ساحر ، يدخل حيث يشـاء ، ومتى يشاء ، لا شروط ولا مقاييس ، شمل الانسانية برحابته ، ولف تاريخ الشعوب ثم عاد بها الى الصحراء العذراء التي أحبها الله ، فأمطرها بالوحي والانبياء ، وانبتت رملها النخـل والضياء ، ليعلمنا ان طاقة الحب تفعل ما تشاء • ومن أجل ذلك نراه يقول :

غسلتك بدمع الروح

وسحبت من شعرك جنيات البحار

وخاطبت في عينيك حوريات الفراديس

وتجاوزت بعطرك كل الحدود

وصرت حرا بحبك

لاجعلك اما عذراء

يا حبيبتي السمراء

ـ لماذا ؟••

لنبدأ من الحرية فن الحب والجمال والغناء

لاسطورة الصحراء
لحبيبتي

- ٤ -

نشاط الشاعر ونتاجه الغزير فوق الوصف ، يكتب منذ أكثر من ربع قرن ، لا يني ولا يفتر ، كتب الشعر منذ الثانية عشرة من العمر ، حتى تجاوزت مجموعاته الشعرية مئة مجموعة ، عدأ • كتب ديوان (لفة ابي) في يفاعته ، حاور فيه اباه الشيخ الوقور الذي أراده على لبس العمامة ليكون المريد الوارث ، ولتكون تراث شرف وعلم وطهـارة وارتفاع الى سوية تكوير الشمس المنيرة • وتعال اشرب معي هذا النخب •

(قال ابي ، ألا يعجبك ان تكون مثلي ، وان ترتدي لفة خضراء ترمز الى انتسابك بشرف الزهراء ؟••

قلت ، انني لا اريـد لفتي خضراء ، لانها بلون العشب ، والخراف تدوس عليه ، وترعاه الحمير ••

فقال محتدا ، أجعل لونها أسود ، رمزا الى الاجتهاد العلمي (وقل ربي زدني علما)

قلت ، لا اريد لرأسي لفة سوداء ، لان السواد لون ليلي ، والليل رمز النوم ، والنوم لا يتفق مع مزاج المجتهد الذي يتزيد من العلم •

فأبتسم قليلا ، وقال : اجعلها بيضاء رمزا لسلوك طريق الطهارة الى الحق •

قلت ، يا ابي استغرب أن يكون الابيض نسبا بيني وبين الحق ، لانه لون حيادي قابل للانطبـاع بأي لون • والانتساب الى الحق موقف له لونه الذي يستغرق كـل الالوان الاخرى •

قال : وما تريد لون لفتك ، اذن ؟••

قلت ، اذا لم يكن بد من لفة احملها لرأسي ، فلتكن زرقاء ، لان اللون الازرق يربط عمق البحر بعلو السماء، كلاهما زرقة عميقة ، فمن الماء حركة الاحياء الجسدية ، ومن السماء حركة الاحياء الروحية) •

هل هذا نثر ؟•• هل هذا شعر ؟•• لست أدري ، ما الشعر اذا لم يكن هذا •• وخاصة اذا علمنا ان الشاعر يرى (الحاجة الى الشعر كالحاجة الى الطعـام ، وتلـك الحاجة ينبوع الابداع على كل مستوى ، وما يكون تلبيـة في وقت ما ، قد لا يكون كذلك دائما) (ولان الشعر مطر ينهمر من قصف الانفعال وبرق العاطفة) كان اسطورة الصحراء ممرعة ، تتوهج بالانفعال وتصطخب بالعاطفة••

عبد الله الطنطاوي

بعد أعوام جفاف

شعر: محمود محمد كلزي

بعد أعوام جفاف ...
كنت فيها ضائعا في مهمه الغربة ..
والآلام والصمت المرير ..
كنت كالطير الذي يبحث عن خضر الضفاف ..

كنت لا شيء يندي عالمي القفر ..
بالوان الحبور
بعد اعوام مضت ...
من عمري الضائع في دنيا الشرور ..
في صباح مظلم الطلعة .. مربد الشعاع ..
في مساء .. كل ما فيه ظلام ..
وسكون القبر فيه ..

وتباريح الضياع ..
قلق يمضغ أيامي ..

ويلقيني على قارعة الدرب الطويل ..
وتناويح الرياح ...

هدمت كوخي الذي يبحث عن ظل ظليل ..
فتهالكت .. على الرمل ..

على الاشواك في لفح الهجير ..
وانبرت عيناي بحثا ..

كان في اللا شيء عن شيء نضير ..

عن نسيم بعثرته الشمس في عرض الفيافي ..

عن ندى .. عن سرحة خضراء ..
في خضر الضفاف ..
عن حروف سمحة تصبغ اشعاري ..
وايامي باشراق الربيع ..

★ ★

بعد اعوام جفاف ..
جئت يا اعذب مافي العالم
من غيث غزير ..
جئت يا دفقة خصب ..
جئت يا غنوة حب ..

جئت يا غارسة الزنبق والريحان والفل بدربي ..

فاذا دنياي ـ يا دنياي ـ يا اندى ربيع ..
سرحة خضراء .. ألوان ورود ..

وازاهير تضوع ..
واغاريد عصافير .. وزخات من الطل ..

وانداء توشي الخضر من تلك الربوع ..
جئت يا أندى القوافي ..

بعد اعوام جفاف ..
فاذا الحرف باشعاري يغني ..
كشراع هائم يعبر بي دنيا التمني ..
واذا يا املي الباسم .. يا الهام فني ..
أيها الشيء الذي عيناي ..
كانت اعينا تبحث عنه ..
حين كان ..
هائما .. يبحث عني ..
واذا عيناي .. في عينيك ..
في رحلة حب أبديـــة ..
في ضفاف عسلية ..
واذا خصلة شعر حلوة
تحملني .. دون جناح ..
لربيع .. دونه كل ربيع ..
بعد أعوام جفاف ..
لك .. يا أنضر من كل الضفاف ..

عشر مرات

محمد هلال فخرو

جمعتـــك من هواياتي وصنتك من صـبـاباتي

ففيـك تمثـــل الماضي وفيـــك تجسد الآتـي

فهل ، أهديت للدنيــا ليسمع صوت أناتي ٠٠؟

أحبــــك ، آه لا تكفي أحبــك عشـر مـرات

انتظار

ما أخر الحلوة عـن موعـــدي يا صبر كن ، في مرة منجـــدي

أمســيت لا أدري أأذهـب أم أبقى الى الصبح عـــلى مقعدي

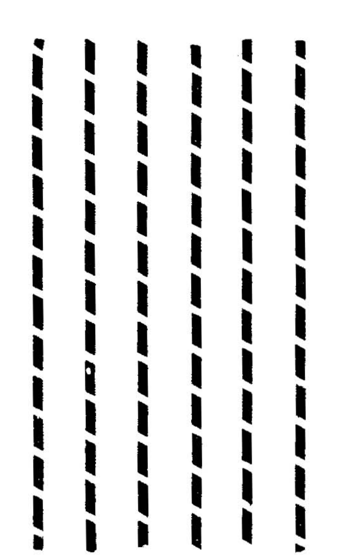
أسأل نفسي هامســـا يا ترى ما أخر الحلوة عن موعـدي ٠٠؟

حلب ـ محمد هلال فخرو

مع الآداب العالمية

وعاء من طحين الأرز المحمص

باك هاك ريم



كلما تذكرت الزحف القاسي في شتاء عام ١٩٣٨ ، لا استطيع الا ان اتأمل وقائع كثيرة لا تنسى • واود ان اروي واقعة منها ما تزال حتى الان تهز الاوتار الحساسة في نفسي •

ففي بداية كانون الاول ١٩٣٨ كانت وحداتنا من الجيش الثوري الشعبي تحت القيادة الشخصية للرفيق كيم ايل سونغ قد غادرت ارض مونكجيانغ الى قطاع تشانغباي بقصد القيام بعمليات على حدود الوطن وفي داخله •

واذ كشف العدو اتجاه حركة وحداتنا ، القى بعدة آلاف من الجنود في اثرنا •

كانت المسيرة بالغة القسوة • فالثلج ما انفك يتساقط ، وكان علينا ان نقطع مسافات طويلة ونحن نشق طريقنا في ثلوج الغابات التي كانت تغطينا حتى الحزام • وفضلا عن ذلك فقد كنا نجد انفسنا مضطرين يوميا الى الصدام مع العدو الذي كان يطاردنا •

لقد كان العدو يجد في اثرنا بعناد ، رغم الهزائم المنكرة المتكررة التي الحقناها به • كان هذا العدو اللعين يهدف بصورة رئيسية من وراء « حملته التأديبية » ان « يدمر » القيادة العامة للجيش الثوري الشعبي لكوريا ، ولهذا كان يبذل جهودا يائسة دون اعتبار للخسائر • وفي هذه الظروف استمر زحفنا حوالي شهر وكانت مواد التموين التي نملكها قد نفذت تقريبا في نهايته ، ومما زاد في مشقة الزحف : مطاردة مستمرة من العدو ، صعوبات السير ، نقص التموين ••• لقد كان من الصعب في هذه الظروف الشاقة ان تتحرك جميع وحداتنا باتجاه واحد •

واذ وصل الرفيق القائد الاعلى الى مقربة من تشيتاوكو ، وهي مقاطعة في تشانغباي ، اعاد تجميع وحداتنا فجعلها في ثلاثة طوابير عليها ان تتخذ ثلاثة اتجاهات مختلفة • ففرقة الحرس وكتيبة الرشاشات كان عليها ان تتحرك باتجاه تشيتاكو تحت القيادة الشخصية للرفيق القائد الاعلى ، والفرقة السابعة كان عليها ان تقوم بعملياتها في قطاع هيس يازكو ، والفرقة الثامنة واحد الالوية المرافقة في قطاع تونكانغ في مقاطعة فوسونغ • ونظرا لصعوبة الزحف فقد ارسل اعضاء مفرزة الخياطة والشيوخ والضعاف الى المعسكر السري في تشينغ بونغ في مقاطعة تشانغباي •

وقد شتت هذا التدبير التكتيكي الذي اتخذه الرفيق القائد الاعلى القوى المعادية التي سادتها الفوضى اذ ضيعت اثار القيادة العامة والقوات الرئيسية لجيشنا ، واصبحت

تجد في اثرنا بلا تبصر ، ولكن العدو لم يتخل عن مطاردتنا· وكانت وحداتنا تقاسي نقص الغذاء اكثر فاكثر · وهكذا عشنا عدة ايام على قش الارز واوراق القرنبيط المجففة · وكان المغاورون الذين لم يأكلوا شيئا لعدة ايام متتابعة ، يسقطون خورا ، ولكنهم سرعان ما ينهضون ويستأنفون سيرهم ملتهمين بعض الثلوج ·

هذه الروح الثورية التي لا تلين والتي تجلت فينا نحن المغاورين مردها الى وحدتنا السياسية والايديولوجية الصلدة تحت قيادة الرفيق القائد الاعلى · فما من صعوبة كان يمكن ان تثنينا · لقد قال : عندما نتغلب على جميع مصاعبنا فانه لن يعوزنا ان نحرز النصر في هجومنا الربيعي في مناطق الحدود · وقد الهمتنا كلمات الرفيق القائد الاعلى هذه حول هدف زحفنا جرأة وروحا قتالية لا تعرفان اللين·

وتابعنا سيرنا نحو الحدود ونحن نشن باستمرار معارك ضد « القوات التأديبية » البرية وطيران العدو ·

وقد اصدر الرفيق القائد الاعلى ، بقصد حل صعوبات الاغذية التي كنا نقاسيها ، الامر الى الرفيق اوبايك ريونج قائد فرقة الحرس بتوفير الاغذية لنا ·

وقد استولى الرفيق اوبايك ريونج يرافقه بعض الرجال اقتحاما على المركز الحراجي في تشيتاوكو ، وكان يديرها رجل امبريالي ياباني يضطهد العمال اشد الاضطهاد ، وجلب معه حوالي عشرة من الخيول ·

ولم يتسع لنا الوقت حتى لشي لحومها فاكلناها نيئة، مع استمرارنا في التقدم عبر الثلج ، وبطبيعة الحال لم نكن نملك شيئا من الملح ·

لم تدم لحوم الخيل هذه اكثر من اربعة أو خمسة ايام ·

وكان للقيادة العامة آنذاك ثلاثة حجاب : كيم بونغ سوك ، جي بونغ سون ، وانا · وقد فتش الرفيق كيم بونغ سوك ، رئيس الحجاب ، في حقائبنا ، وجمع منها طحين الارز المحمص الذي وضعناه فيها لمواجهة حالة الضرورة وكانت الكمية التي جمعت تشكل عبوة كأس · لم يكن يهمنا ، نحن الحجاب ، ان يعضنا الجوع : فقد كنا نتألم قبل كل شيء لعدم استطاعتنا تقديم شيء الى الرفيق القائد الاعلى ليأكله ، وذات صباح وكنا ننعم باستراحة بعد مسافة من السير ، قدمنا له طحين الارز المحمص الذي جمعناه من حقائبنا · واجال الرفيق القائد الاعلى ، دون ان ينبث ببنت شفة ، انظاره لحظة بيننا ثم دعا اليه الرفيق جي بونغ سون ، اصغرنا سنا واعطاه الطحين · وكان الرفيق بونغ سون يحافظ على وقفته ، لا يعرف كيف يتصرف ، وهو في غاية الانفعال ، فنصحه الرفيق القائد الاعلى ان يأكل الطحين دون ان يهتم به ، وداعب رأسه ثم غادره ·

لم يأكل الرفيق بونغ سون طحين الارز المحمص ، بل قدمه الي · وهكذا دخلت هذه الكمية الضئيلة من الطحين حقيبتي ·

وتابعنا طريقنا · كان الآلاف من الجنود المعادين يطاردوننا ، عندما بلغنا فجأة تقرير يعلن ظهور بضع مئات من الجنود المعادين امام طابورنا · لقد كان وضعنا حرجا حقا · ووقف الرفيق القائد الاعلى ورفع نظارته المكبرة الى عينه لتفحص الارض المحيطة بنا · وامر عددا قليلا من الرفاق بمتابعة السير بينما دفع بالقوات الرئيسية من فرقتنا الى طريق آخر بعد ان عمل على طمس آثار اقدامنا · وكان على المفرزة الصغيرة ان تنضم الى القوات الرئيسية بنفس الطريقة وترتب على ذلك انه امكننا الخروج من هذا الوضع الصعب ·

سرنا طوال النهار ، وكان علينا مع هبوط الظلام ان نستريح ، ونظرا لعدم وجود مواد غذائية فقد اضطررنا الى الاستغناء عن الطعام بتناول ماء الثلج مغليا · وكنا نحن الحجاب شديدي الرغبة في تقديم بعض طحين الارز الى الرفيق القائد الاعلى ، فناقشنا الموضوع وقررنا ان نقدمه له مرة اخرى · فقسمنا الكمية القليلة من الطحين الى قسمين متساويين وقدمنا له احدهما ، محتفظين بالقسم الثاني كاحتياطي للوجبة التالية ·

تفحص الرفيق القائد الاعلى دون ان ينبث ببنت شفة وجوهنا لقد كان وجهه ينطق بالجوع ، ولكن النظرات التي كان يلقيها علينا كانت ، شأنها دائما ، تنبض بالحنان والحكمة • كان يبدو انه شعر اننا نقدم له ، وله وحده ، القليل من الطحين الباقي لدينا فسألنا قائلا : « كم من الوجبات فاتتكم ؟ » • فاجبناه كلنا « ايها الرفيق القائد الاعلى ، لقد اكلنا منه نصيبنا ولم يبق الان الا نصيبك • واستطرد ضاحكا: حسنا• وتطلبون مني ان اكله بمفردي!•

•• ألم يبق غير هذا ؟ • « حسنا احضروا لي اذن حقائبكم» • والقى فيها نظرة فاحصة ، ففحص اولا حقيبة الرفيقين كيم بونغ سوك وجي بونغ سون ، ولم يجد فيهما طحينا • وجاء الان دوري • ولعدم وجود سبيل آخر ، فقد قدمت له ما بقي من طحين خبأته في اعماق حقيبتي • فقال وهو يقهقه ضاحكا : « ها انت قد كذبت الان » • وبسط الرفيق القائد الاعلى ورقة جريدة صب عليها كل طحين الارز المحمص ودعانا الى الجلوس متحلقين حولها• فبقينا مترددين ينظر واحدنا الى الآخر • لو اننا اكلنا هذا القليل من طحين الارز المحمص ، فلن يتبقى شيء نقدمه له في الوجبة المقبلة • وكنا نحس فعلا بالحرج • واذ رآنا مترددين ، اجلسنا الرفيق القائد الاعلى ممسكا بايدينا • ولعدم امكان فعل شيء آخر ، فقد جلسنا حول الطحين الذي كانت كميته لا تتجاوز عبوة كأس • « كلوا منه اساس ان ثمة مالا(١) على الاقل ، وعند ذاك لن تشعروا بالجوع • تفضلوا رجاء » • قالها وهو يقسم الطحين بقطعة من الورق • لم يعد نفسه في القسمة ، واكتفى بأن يجعل الانصبة لنا نحن الثلاثة • وعند ذاك تنازل له كل منا عن جزء من النصيب الذي خصنا به • لقد قبلنا بذلك لعدم امكان الاستمرار في الرفض ، وبالنتيجة كانت كمية الطحين التي اصابها الرفيق القائد الاعلى اقل من انصبتنا • ولم يمزج الرفيق القائد الاعلى نصيبه بالماء الا بعد ان رآنا نفعل ذلك • لقد تأثرت بالغ التأثر ، مثلما تأثر رفيقاي ، عند تناول هذا الماء الممزوج بطحين الارز المحمص •

لقد قال لنا الرفيق القائد الاعلى بأن نأكل منه كما لو كان على الاقل مال واحد ولكن حتى لو كان الامر يتعلق بآلاف وعشرات الالوف من الامال ، كيف يمكن مقارنة ذلك بالحنان غير المحدود الذي كانت تنطوي عليه كلماته الموجهة الينا ؟

صحيح ان السعادة او الانفعال لا يمكن بحال من الاحوال قياسهما بكمية من السلع المادية • ان الوان الطعام الممتازة في الولائم الفاخرة التي يقيمها المستغلون لا يمكن أن تكون لذيذة كهذا القليل من طحين الارز المحمص الذي أكلناه آنذاك • ذلك ان هذا القليل من الطحين كان غذاء ثمينا من الثورة التي تنطوي على غذاء ثوري قيم ، الهمنا اياه الرفيق القائد الاعلى وهو يربينا على روح الفداء من اجل الوطن وعلى محبة الرفاق حبا عميقا •

وفي تلك الليلة بالذات ، وتحت القيادة المباشرة للرفيق القائد الاعلى ، وبقوة تضاعفت مئة مرة ، سحقنا العدو الذي كان يختبيء في قرية شيسانتا كاو ، في مقاطعة تشانغباي ، وغنمنا فيها كميات كبيرة من المواد الغذائية بعثنا بها الى جميع وحداتنا •

لقد قام العدو ، طوال شتاء كامل ، بتعقب وحداتنا في الغابات والجبال والوديان المغطاة بالثلوج ولكنه فقد ، في نهاية الامر، جميع آثار القيادة العامة والقسم الرئيسي من وحداتنا • وهكذا وبفضل التدبير التكتيكي الممتاز للرفيق كيم ايل سونغ فشلت « الحملة التأديبية الشتوية » وتشتتت القطعات المعادية هنا وهناك بعد ان ضعفت روحها المعنوية •

وتجمعت وحداتنا التي كانت تقوم بالعمليات في اتجاهات مختلفة وشتتت هجوم الربيع ، موجهة ضربات ساحقة للعدو • وفي هذا الهجوم الربيعي وبفضل قائدنا الاعلى ، وجهنا ضربات موجعة للاعداء المتمركزين في قطاع موزان في كوريا والحقنا الهزيمة والموت بالاعداء على الحدود مستلهمين الانفعال الذي سيطر علينا بخصوص « كأس من طحين الارز المحمص » •

---

(١) المال يعادل ١٥ كيلو غراما •

نظرة في الشعر الأرمني

الدكتور احمد سليمان الأحمد

تعود اصول الشعر الارمني الى عصور الوثنية ، وقد حفظ مؤرخو القرن الخامس وما يليه ، مقاطع من ملاحم خرافية رائعة تصف احدها « مولد واهان » ذي اللحيـة النارية الذي ولدته قصبة زمردية طفت على وجه الماء وهي تنفث النار ، ومن هذه النار انبثق واهان • والمقطـع الذي وصلنا يفيض بمشاعر الميلاد ، والغاز الحياة ، وقوة الانسان وجماله •

ويتفق النقاد على ان الشعر الارمني في عصر النهضة انما هو شعر غني بمحتواه ، اصيل ومتنوع الالوان ، وقد برز في هذه الفترة « فرمك » من شعراء القرن الثالث عشر وتسلسلت في قصائده تلك الصراعـات والمتناقضات التـي كانت تملأ عصره ، وكان صوته صدى للتمرد ، وابـدع شكلا شعريا جديدا قادرا على أن يعكس العالم والاحداث التي تحيط بالشاعر •

وتلاه في القرن الرابع عشر « قسطنطين ارزنكاستي » فكان مغني الحياة والطبيعة ، وكان اقرب الى الحيـاة وافراحها واتراحها • اما « موتشاك » في العصر السادس عشر ، فكان شاعر الحب الذي لا يمارى واعلن في قصائد غنائية فوارة بالقوة والحياة ، ان الحب اجمـل الاشياء واقدسها ، مؤكدا حق الانسان في السعادة •

وفي القرن الثامن عشر ، شع نجم « سايات — نوفا »، هذا الشاعر الذي اطلق عليه لقب « ملك الاغاني » ، ولقد كان ، برؤيته القلقة والمأساوية للعالم خاتمـة العصور الوسطى وفاتحة فصول اولى في الشعر الجديد• كان الانسان



منذ النهضة ، قد وعى كيانه ، ووعى غنى مفهوم العالم و « حرية العاطفة » وعرف الى جانب ذلك الشك والقلق ، وصادف عقبات في طريق معرفـة نفسه وتفتح مواهبـه الخلاقة •

وهذا الصراع الداخلي قائم في مؤلفات اكبر شعراء وفناني العالم ، منذ النهضة حتى أيامنا • ولقـد عرف الفن الاوروبي من « دنتي » الى « فيليني » تلك الشعلة التي تحرق المبدع ، وتلك المنعطفات التي تموت فكرته، ومحاولات الهرب المخفقة غالبا ، ولقد عرف شعر سايات — نوفا مثل هذا الصراع الى حد كبير •

لقد قدم لنا الشعر الارمني صورا شاعرية للشعب ولمسيرته التاريخية ، لكبواته وانطلاقاته ، لقلقه وآماله ، لحبه وبغضة • وكان الشعراء هم المعبرين عن حب عظيم

للحياة والناس ، وعن ظمأ للسعادة ، واعجاب بجمال الطبيعة ، وحنين الى المنزل والاهل ، وكره واحتقار للمغتصبين والمضطهدين والغزاة ، ولقد اثبت لنا تاريخ الشعر الارمني ، مرة جديدة ، ان الشعراء العظام يظهرون دوما في حمى المعارك التحريرية التي يخوضها الشعب ·

وفي مطلع القرن العشرين برز « واهان تمريان » مستندا الى التقاليد القديمة من جهة ، ومتمثلا من جهة اخرى ، بشكل خلاق ، تجربة الشعر الفرنسي والشعر الروسي في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، وتأثر بالادب الرمزي ، واقبل على « فيرلين » يقرأه ثم يترجمه الى لغته ، ولكنه رغم ذلك استطاع ، ان يخلص ، في فترات من اغراء الشعر الذاتي كي يمجد الدوافع الوطنية والثورة ·

اما « آكوب آكوبيان » الذي توفي عام الف وتسعمئة وسبعة وثلاثين، فقدكان مؤسس الشعر البروليتاري ، اذا جاز مثل هذا التعبير ، وكان معنى العمل والنضال الذي خاضته الطبقة العاملة · وفي قصيدته « الفجر الجديد » تضطرم الروحية الثورية الغاضبة ، ولقد كان من اوائل الذين وعوا قوة العمل المجددة وغنوا الانتصار والاشتراكية · وكان شعره يأسر بابتعاده عن الحذلقة والمحسنات اللفظية، معبرا عن جوهر العصر الثوري ·

واتسعت آفاق الشعر الارمني بفضل شعراء ، مثل «تومانيان» و«اسحاقيان» و «تيريان» · لقدواصل هؤلاء الشعراء تطوير التقاليد الشعرية ، في الوقت الذي قاموا باكتشاف آفاق شعرية عذراء ،وتبدت لنا اعمال اسحاقيان الشعرية مثل « قوس قزح » يمتد بين العهد السابق للاشتراكية وعهد الاشتراكية ، ولقد وجه اليه الشاعر الكبير الآخر « تشارينتز » دعوة شعرية الى العودة من المنفى ، فكانت هذه الدعوة بمثابة وثيقة رئيسية في الشعر الاشتراكي ، تعكس عاملين وفلسفتين ومصيرين ·

ويعتبر « تشارينتز » بدوره شاعر العهد الثوري ، وقد جدد في الشكل وفي المحتوى ، وادخل اوزانا جديدة وصورا جديدة خلقت في شعره سعة ورحابة لا مثيل لهما ، وكان من اولئك الذين عرفوا كيف يحسنون التعبير عن الوثبة البطولية التي قامت بها الجماهير المتمردة ، وعن الجمال العنيف في المآثر الثورية ، وكان يجيد فن مخاطبة الجماهير حول القضايا العظيمة والخطيرة ·

وللشعر في أرمينيا السوفياتية ، ممثلون عديدون ، لا يمكن لنا حتى مجرد احصاء اسمائهم ، ولكننا سنقدم نماذج من هذا الشعر ، علها تعطي فكرة عامة عن مدى ما توصل اليه الشعر الجديد في حفاظه على التقاليد الشعرية وتطويرها واكتشاف منابع جديدة في اللغة الشعرية والخيال الشعري ·

قال « أشوت غرستي » المولود عام ١٩١٠ :

ايها الكون ، لست الا سرا رحيبا

وانت ايتها الحياة ، لست الا لغزا قديما غريبا ·
كيف لم اجد المفتاح السحري ؟

لافتح على جميع السماوات الملأى بالنجوم
جميع ابواب السعادة

ايها الكون ، لست الا سرا رحيبا

وانت ايتها الحياة ، لست الا لغزا قديما غريبا
ولكنني أغنيكما كشاعر ، كطفل

اسراركما هي ، لي ، حكايات رائعة

وليس لدى منكما الا البسمة

فابتسما لي ، دوما ، حرين بلا قيود ·

ايها الكون ، لست الا سرا رحيبا

الا لغزا

الا حلما مضيئا

وهذه مقطوعة « ليوهانس شيراز » المولود عام ١٩١٤ :

ان لم نقرأ ما يكتب الشعراء

فسننسى كل شيء عن الوردة ، والندى ،

سنعتقد ان الندى هو قبلة الضبابة البحرية ،

ولكن الندى ليس الا دموع القلب

على ازهار احزاننا الشاكية

اننا ننسى كل شيء عن العالم ، عن الناس

وعيوننا لا ترى الا ظلالا

ومع ذلك فالوردة تنتظر النحلة الشقراء

واثقة ، سعيدة متفتحة ،

ولكي تغرق مرارة العالم ،

تتفتح في كمها سعادة رحيبة .

وهذه مقطوعة « لهامو ساهيان » المولود عام ١٩١٥ :

اذا كان ذلك حتميا ، فلينطفيء نور مقلتي

ولكن ، ليبق فكري مزدانا بالنور

وفي جوقة العالم الكبيرة

ليرتفع صوتي ، ليرتفع صوتي

فلأغد على هذه الارض غبارا ،

وليذب كياني في دموعي ،

ولكن لتبق روحي دوما دون ضعف

ودون ان تنحني ، دون ان تنحني ابدا

فلانؤ تحت ثقل الاحزان

ولكن فلاأسمع دوما نداء الافق
ولا يثقل أي من ايامي ، مهما كان ،

لا يثقل حياتي ،
وهكذا احيا الف عام بامتلاء

واجابه الف صخرة ، والف جبل ،
وانطلق من الف ريح ، مع الف عاصفة

من اجل الخلود ، من اجل الخلود .

وهذه قطعة «لرازميك داڤويان» المولود ١٩٤٠ :

انت ، يا نشيدي
الذي زارني ليلا

ولحقني في الشوارع
لقد قمنا بجولة معا

عبر جميع الابواب
عبر جميع نوافذ العالم

عبر اسرار القلوب الرائعة
عبر حقيقة الشر
عبر احلام جميع الفتيات .

وامام الوان الخريف

في افق الاوراق الميتة
افترقنا

ولكنك عدت الي
كما لو بودك ان تموت

على شفتي الراعشة

كما لو تريد ان تكفر عن ضياعنا الليلي

ثم قطرة ، فقطرة ،
انسبت نحو الارض
دمعة لا متناهية

مثل رنوة نجمة

ايها الحب المفقود ،

يا نشيد ليلتي .

وهذه ، اخيرا ، مقطوعة كتبها « آراميش ساهكيان » المولود عام ١٩٣٦ :

اذا كنت اود أن أكون متفرجا

ازاء عجائب الدنيا

فاني لا اود ان اكون ذلك المتفرج

ازاء الحياة وامام الناس

انني ، مثلكم ، يا أهل العمل ،

احيا بحب الواجب

واذا كنت قد منحت امتيازا

فهو انشادي الشعر

انتم جميعا ، ايها الاصدقاء او الغرباء ،

وانتم يا من لا تسمعون نشيدي ،

انني اقدم نفسي لافراحكم واتراحكم ،

ولتغذ هذه الكلمات

في سعة آفاقكم

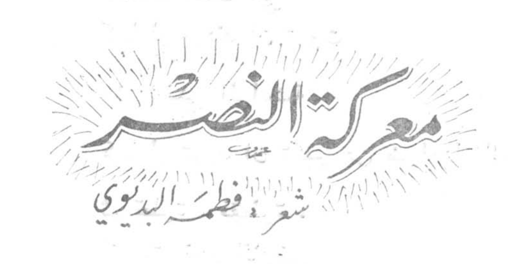
انتم الشجرة ، وانا الورقة

تسقط الورقة وتبقى الشجرة

ونشيدي ، من دونكم ،

ليس الا ورقة ،

ورقة ميتة ..





يا نفحة من ربا الفيحاء قطر ندى ... أعدت للعرب مجدا كان قد نهبا

يا بسمة من روابي جلق ابتسمي ... هذا هو اليوم لاقينا بـه العجبا

غذيت قلبي بحب الشام فانتحبا ... فيض المدامع من عيني ما نضبا

أهديت عمري الى مغناك ملحمة ... لقاء وعد يزيـل الهم والنصبـا

نذرت نفسي للتحرير فانسكبت ... في ثغر دنياك فاقض حق ما وجبا

فرقت الروح من شوق أمن عجب ... أصب في بردك الياقوت والذهبا

نفسي فداؤك يا فيحاء هاك دمي ... لكي تعيدي الى الاوطان ما سلبا

وزغرد الرمل في سيناء فاغتمت ... ندية الراح والاقداح ما طلبـا

كأن من فيضها الاسراء منطلقا ... وفوق أهرامها تاجا لنا نصبـا

فرمل بيدك يا سينـاء لحد أبي ... ونخل واحاتك الظل الذي حدبا

فكيف أسلو وشعبي مدنف ألق ... في اللدظلما يعاني العري والسلبا

أطل تشرين يبني مجـد أمتنا ... وأضرم النار في الجولان فالتهبا

تحول الساح بحرا من دمـائهم ... جحافل العرب تجني العز والأربا

كالرعد يقصف صوتا من صراخهم ... فتستحيل به أكباده اربا

لله در فتى الفيحاء من بطل ... شهم كريم مدى الايام ما تعبا

يمشي على النار ما لانت عزائمه ... كأنما النار ورد عنده عجبا

يا موكب النصر والأمجاد ملحمة ... لقد أعدت لنا التاريخ والنسبا

وقد كسوت ذرى الاهرام مفخرة ... لما أزحت من الاستار ما احتجبا

فانهد صهيون عار الذل يسحقه ... يصارع الدمع مغلوبا وما غلبا

بوركت شهما لقد شرفت موئلنا ... وكم دعوت فما نعدو لك الطلبا

لقد نذرت الى التحرير أفئدة ... فخضت فينا غمار الحرب والنصبا

فما يئسنا ولا لانت عزائمنا ... حتى هزمنا دعاة الظلم والسلبا

وطغمة الشر أشباح ممددة ... سنسحق الرأس يا صهيون والذنبا

انا شباب أباة ما بنا هرم ... سننزل الموت في صهيون والعطبا

نحن البراعم في الدنيا نميس هوى ... وجدولا في ربا الفيحاء منسكبا

وصرخة القدس دوت في مساجدنا ... فرددتها نواقيس العلا طربا

لله در حماة العرب قد كتبوا ... في يوم تشرين سفرا يذهل الكتبا

تروي لنا اليوم يا حطين واثقة ... مجدا تفاخر في مضمونه الشهبا

لقد خلقنا لكسب النصر فأتلفي ... يا هذه الارض من أمجادنا عجبا

فما بعثنا لغير الثأر فاغتسلي ... بكفك السمح من دمعات ما انسكبا

فطمة البديوي

قارئنا والمكتبة

محمد سعيد الدباس

أتساءل ٠٠ ولعلي لست اول من تساءل ٠٠ عن دور المكتبة الفعلي في بناء نفس طموحة وفكر ايجابي بناء ٠٠ ولعلي ايضا ، وأنا بصدد دراسة هذا الدور الفعال في بناء شخصية الفرد ، كفرد في هذا المجتمع بنائه فكريا واجتماعيا وثقافيا وتلوين مكوناته الحضارية والخلقية والسياسية والاجتماعية ٠٠ التي لا غنى لكل عنها ومن ثم دور المكتبة الذي لا يقل في الاهمية والمكانة عن ذاك في ايقاظ الوعي وتنبيه الاحاسيس وصقل الملكات وبلورة المفاهيم التي تؤدي دورا بارزا في نهوض المجتمع كمجتمع ٠٠ أعني كوحدة متكاملة ، وكل متكامل الاطراف ومن ثم لاعطاء ابناء هذا المجتمع ، وبالتالي الامة التي ينضوي هذا المجتمع تحت لوائها مكانتها الحقيقية بين أمم الارض جميعا ٠٠

سقى الله أيام المأمون ٠٠ « وبيت الحكمة » ٠٠ وما كانت هذه المكتبة تشع به على العالم من أرث وفكر وحضارة وعلم وفن ورياضة وغناء ٠٠ فكم أراق العلماء من وقت ، وكم حفلت المكتبات بكتبهم ، وكم أثروا أذهان الناس بأفكارهم وعطاءاتهم التي لا تقدر بوزن ٠٠ وقد يغمطها الوصف بعض قدرها ٠٠ فكم أشعت مكتبتنا العربية من خلال أذهان ابناء العروبة باشعاعات نفذت مخترقة جدر المكان ٠٠ وحدود الزمان ٠٠ فعرفت العالم أجمع بماهية الفكر العربي والعطاء العربي ٠٠ وكثيرة هي أمثال هذه المكتبة بين العراق والاسكندرية ودمشق والمغرب العربي ان شئت العد ٠٠

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المجال انما هو : هل يستفيد قارئنا العربي المعاصر من المكتبة وما حوت كما استفاد منها أخ له بالامس ؟٠٠ هذا اولا ، وما هو الدور الذي تؤديه المكتبة الآن ٠٠ في عالمنا العربي ؟٠٠ ما هي محتوياتها ؟٠٠ كيف نعمل على انمائها ؟ من الذي يعد خطة الموازنة من أجل تزويدها بما يلزم لها؟ هل تخدم محتوياتها اغراض ابناء المجتمع الذي توجد فيها ملبية رغباتهم محققة تطلعاتهم ٠٠ من يشرف على الاعمال في المكتبة ؟ هل هم أناس أكفاء تحدوهم الرغبة في الخدمة اولا وفي نقل الثقافة والعلم الى من يرغب فيه بسبيل ميسرة ونفس رضية ؟٠٠ هل تواكب مواد المكتبة آخر انباء العلم والطب والادب والاكتشاف والاختراع ٠٠ وتمشي معها زمنيا ؟٠٠

هل هناك من وسائل وادوات تعرف القارىء بقيمة ما يقرأ ٠٠ وتنتقي الكتب بما يحسن أن ينتقيه ؟ وهل يحاول القائمون على شؤون المكتبة أن ينقلوا المكتبة الى كل بيت ٠٠ الى كل فناء ٠٠ الى كل مصنع ومعمل الى كل مؤسسة تعليمية او اجتماعية او غيرها ٠٠ الى كل طبقة من طبقات ابناء المجتمع ٠٠ الى كل فرد مهما كان شأنه فرب حامل فقه ٠٠ وليس بفقيه ٠٠ ورب ناقل علم ٠٠ الى من هو أعلم منه ٠٠

نظرة متأنية الى رواد قلة اذا ما قورنوا بعدد أبناء المجتمع الذي يربو كل يوم ٠٠ ولعلنا نلاحظ ايضا ان المستفيدين منها هم أقل من روادها ايضا ٠٠ فقلة من الباحثين الدارسين المحققين يرتادون المكتبة حين لا تسعفهم مكتباتهم « الخاصة » بما يطلبون ٠٠ ولكن قد يعودون أحيانا من المكتبة العامة بخفي حنين حيث لا يتمكنون من ايجاد ما يتطلبه بحثهم ودراستهم احيانا او لاسباب أخرى قد لا تغيب عن ذهن الاريب ٠

عالمنا ، وطبيبنا ، وأديبنا ، ومهندسنا ، ومفكرنا٠٠ ان لم نؤمن لهم الموسوعات المتخصصة ، والدوريات التي تمهد سبل ابحاثهم ، من قوائم كتب وتعريف بها ، ومجلات اسبوعية وشهرية وفصلية ٠٠ ناهيك عن الكتب الحديثة التي تخدم اختصاصهم وتطلعهم على ما يرغبون في الاطلاع عليه ٠٠ سيجدون انفسهم في حل من ارتياد هذه المكتبات٠٠ وبذلك تقفر المكتبات من اخلص وافضل روادها ٠٠ وآمل ألا تؤول بنا الحال الى هذه الدرجة ٠

طالبنا الجامعي ، وطالبنا الثانوي ، وهم كثرة غالبة من رواد المكتبات في عالمنا ٠٠ كثيرا ما يجدون في المكتبة قاعات مطالعة تؤمن لهم شيئا من الهدوء والجو الدراسي٠٠ ولكن ليس هذا وحده كاف ٠٠ بل ينبغي لهم أن يجدوا في المكتبة خير معوان ٠٠ وانني لاقول وبمنتهى الاسف والمرارة ان كثيرا من الخريجين الذين اختصوا بالادب او التاريخ او الفلسفة او ما شابه ٠٠ قد لا يعرف احدهم كيف يراجع بحثا في مكتبة او كيف يعد دراسة مستأنية في بحث من الابحاث ، او كيف يعود الى قوائم الكتب وفهارس المكتبة ليجد ما يبتغيه ناهيك عن سوية اللغة التي يكتب بها محتجا بانه لن يضارع سيبويه في

النحو .. ولا الجاحظ في روعة الاسلوب ومتـانته .. ولا الخوارزمي في الرياضيات ومبادئها .. ولا الفارابي او الكندي في الفلسفة .. وان استقصيت بعين يقظة السبب الكامن وراء ذلك ، فبمنتهى البساطة انك واجده على ادنى من مقربة منك .. عد قليلا الى حقل الدراسة.. ترى كم من مدرس بذر في نفوس تلاميـذه حب البحث ، واقتادهم بنفسه .. الى مكتبـة قريبة عرفهم مداخلهـا ومخارجها وسبل الاستعانة بمحتوياتها .. وعد منهم كيف يكتب الفرد منهم بحثا او قل موضوعا .. كيف يبدأ ، ومن أين ؟ وكيف يسير ، والى أين ينتهي بـه المطاف ؟ وكيف يسجل كل ملاحظاته وينسق أفكاره ويجمع آراءه بسلسلة منطقية مقبولة ، وكيف يشـير الى ما اعتمده من مراجع وما نقل عنه من كتب او موسوعات او خلافه ؟..

وليست الحال بأفضل من ذلك في الجامعة .. كتاب مقرر .. ويطلب الى المدرس أن يحذف « بعض الفصول » .. او « بعض الصفحات احيانا » .. وما أكثر ما يحدث هذا في جامعاتنا حيث يحد تفكير الطالب ويحد ايضا فكره وأفقه .. فقلما يطلب الى الطالب بحث مستفيض يظهر العمل وآثار الدأب عليه وانني لا أقارن ولا أقيس على مدى الدراسة المقررة على طلاب الجامعة المبتـدئين ههنا حيث لا بد لكل منهم ان يعد لكل مادة اسبوعيا بحثا من الابحاث يظهر فيه أصالته وجدارته وكفاءته باستمرار الدراسة.. والحق انه لشيء رائع يدفع المرء الى الاعجـاب بسـوية الفكر والعمل في كل مجال من مجالات الحياة .. ولكن ان يطلب الى الطالب فقط اعداد بحث.. هذا لا يمكن أن يكون مطلبا عادلا بحق الا ان توافرت له من الشروط ما يجعله قمينا بالتحقيق .. حيث يعطى الطـالب الى جانب البحث عددا من المواد التي يمكن له منها أن يجد بحثه ..

فالخطة مسبقة للموضوع .. وعلى الطالب ان يبني الهيكل الذي يريد .. ومن ثم يتم البنـاء الذي يرتئيه الطالب هنا يعرف كيف يستعمل الفهارس والكشافـات والموسوعات والكتب المختلفة .. حيث اجريت لـه دورة تعريف ولو عابرة على اقسام المكتبة ومحتوياتها .. والكتب في متناول يده .. ما عليه الا ان يقرر البحث الذي يود مطالعته ويذهب الى الكتب ليأخذ منها ما يشاء .. ويقرأ ما يريد .. ويصوغ بعد ذلك من الكتابة ما تقدر عليـه ملكاته ..

ولكن أين هذا .. من مكتباتنا وجامعاتنا .. المكتبي ههنا يقدم كل مساعدة ممكنة من توجيه وارشاد او اعانة ببحث عن كتاب ، او تأمين نسخة عن كتاب غير متوفر في المكتبة .. او تصوير وثيقة .. او تأمين نسخة مصورة على « فيلم » لكتاب او لجريدة او لمجلة وما شابه .. ولكن ترى ما هي حالة العامل في المكتبة في مكتباتنا أقل ما يقال .. الصبر « طيب » .. رغم مرارته ..

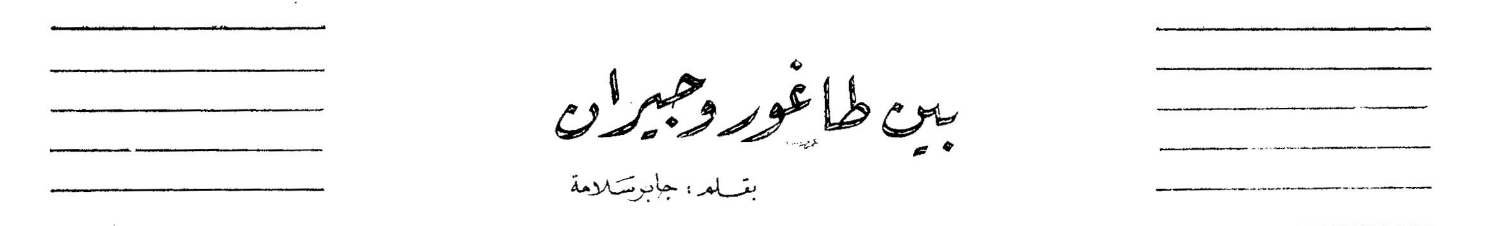
لا بد لنا والحالة هذه ، أن نسلك كل سبيل قـد نعتقد صلاحها لاستقطاب ابناء المجتمع الى المكتبة من جديد .. لا بد لنا أن نثري مكتبتنا ونضع لهـا من السياسة والخطط الكفيلة بالاجابة على رد كل تساؤل والاخذ بيد كل باحث وراغب في علم او ثقافة او فن .. الى ما يريد.. لا بد لنا أن نفتح الابواب على مصاريعها امام كل الرواد بدون استثناء ، ليأخذوا من الكتب ما شاؤوا .. ليشعروا بقيمة المسؤولية .. وليشعروا بالدور الذي يؤدونه في هذا المجتمع ليكن القائمون على شؤون المكتبة اهلا لذلك ..

تيسيرا في سبل الاعارة .. عملا دائبا في تأمين آخر ما توصلت اليه البحوث وكشفت عنه التقارير العلميـة تسجيلا لاحدث النشاطات الفكرية والادبية والمكتبية عـلى النطاقين العربي والعالمي .. ويتراءى لي انه « الانسان » ببشريته وتواضع ملكاته وفلسفة حياته .. هو وحده الذي نريد أن نلح عليه .. الانسان الامثل .. خلقا وعقـلا ومعاملة .. لتقم فئة من المدرسينالذين يؤدون دورا طليعيا اصيلا في بناء شخصية امتنا ، بتعريف الطالب بمكتبتنـا جديا وعلى اصول واضحة سليمة لتغطي وسائل الاعـلام بمختلف الوانها انباء المكتبة ، ولتجري مقابلات مع القائمين على شؤون المكتبات ولتستفتي آراء الناس في مكتباتهم .. لانها منهم واليهم .. وينبغي ان تخدم غـاياتهم وتحقق تطلعاتهم وآمالهم .. لتوزع استمارات تستقرىء افـكار الناس وما يتوقعون ان تحتوي المكتبة..وما هي الكتبالتي يقترحونها ، وما هي الموضوعات التي يريدون ان يجدوها متوفرة في مكتبتهم .. ولتعرض هـذه الاستمـارات والاستفتاءات والمقابلات على اخصائيين يدرسونها ويعللونها ويجدون الحل الامثل لها .. لينشط العاملون في المكتبات، وليقم المشرفون منهم على تزويد المكتبات الخاصة كمكتبات الشركات والمعامل والمدارس والمؤسسات بما يمكنهم من ادوات علمية كتصنيف للكتب حسب موضوعاتها ، ومؤلفيها وعناوينها .. ولتكون هناك ندوات للتعريف بالكتـاب العربي .. والكتاب العالمي .. وما حققـه كل منهما في ميدانه من تقدم وتوعية ونشر فكر وثقافة ..

ولا بد من أن تتضافر جهود الدولة مع جهود الافراد لتأمين دعم مادي وموازنة جيدة تتيح المجالأمام هذه الجموع الوافدة لاستخدام معطيات الفكر والحضارة والاطلاع عليها والافادة منها ..

كلمة أخـيرة ..

المكتبة رمز الامة وعنوان وعيها حيث انها قد تعكس بصورة من الصور نشـاط ابنـائها الفـكري والادبي والسياسي .. وهي ثروة لما تحتضنه رفوفها من كتب لاعلام وعلماء كتبوا في مجالات شتى من العلوم والفنون والآداب .. فمن الخير لنا ومن الواجب الذيتمليه الامانة والالتزام بقضايا امتنا ورفع مكانتها ان نعمل من أجل مكتبتنا قدر ما تسعنا الطاقة .. وان ليس للانسان الا ما سعى ..



بين طاغور وجبران

بقلم : جابر سلامة

بعد ان وضعنا اللمسات الاولى عن حياة كل من جبران وطاغور في الاعداد الماضية من مجلة الثقافة الاسبوعية بقي علينا أن نتحدث عن الفوارق بينهما وعن أوجه التشابه بعد ذلك .

والموازنة بين شاعرين عملية صعبة تحتاج الى اقلام قد تآكلت رؤوسها من كثرة ما قبلت الاوراق البيضاء وهي في أيدي الادباء والنقاد .

ورحم الله الدكتور زكي مبارك الذي قال في الصفحة السادسة من كتابه « الموازنة بين الشعراء » : (يجب ان يصل من يتصدر للموازنة بين الشعراء الى درجة عليا في فهم الادب وأن يصبح وله في النقد حاسة فنية تنأى به عما يفسد حكمه من الاهواء والاغراض التي تحمل القاصرين من طلاب الادب على البعد عن جادة الصواب .) .

ولكننا نأمل ونحن نوازن بين شاعر الهند وشاعر لبنان أن نجيد بعض الاجادة لا كلها وكل ما نأتي به هنا لا يبعدنا عن جادة الصواب لانه ظاهر للعين حيث لو عاد القارىء العزيز الى ما كتبناه عن حياة وسيرة الشاعرين لوجد الصواب فيما ذهبنا اليه اثناء عملنا .

فأول ما ينتبه القارىء اليه هو أن طاغور عاش في رحم الزمن اكثر من جبران حيث عاش الاول ثمانين عاما والثاني ثمانية واربعين عاما وهذا الفارق الزمني له أهمية كبرى في تأصيل واستقرار فلسفة الانسان وآرائه وفي تهذيب وصقل اسلوبه وفي معرفة جيدة لاصول الفن ومذاهبه ومدارسه .

والفارق الثاني الذي نلمحه هو أن طاغور أحيط بالحنان والرأفة من أبويه بخلاف جبران الذي أحيط بحنان الام ولكم الاب .

فالاسرة التي ولد فيها طاغور اهتمت بنشأته وتعليمه بينما أسرة جبران كانت على عكس ذلك اذ دفعته الى الاغتراب طلبا للعيش وهذا فارق ثالث له أثر كبير في تكوين شخصية طاغور وجبران الادبية والفلسفية والفنية والاجتماعية .

وفارق رابع هو ان طاغور لم يعمل في حقل من حقول الحياة ليدر عليه الربح لانه ولد في اسرة غنية لها قيمتها وجاهها في الاوساط الاجتماعية الهندية أما جبران فلقد سعى كثيرا من أجل لقمة العيش لانه ولد في اسرة فقيرة .

ورغم هذا فجبران كان طموحا محبا للعلم فلقد استطاع ان يتعلم الانكليزية في عامين اثنين وأن يقرأ فيها كتاب ـ كوخ العم طام ـ بينما طاغور كان يحسد الطيور لانها لا تتكلم الانكليزية وهذا فارق خامس ومهم ايضا على أدبهما لاننا سنرى أن جبران قد ألف كتبا في اللغة الانكليزية أحدثت ضجة عالمية في جميع الاوساط الادبية وغير الادبية .

والفارق الاخير الذي نراه هو ان طاغور رزق البنين والبنات من زوجه بينما جبران لم يرزق ولد لانه لم يتزوج

ورب سائل يسأل هل هذه الفوارق الستة تامة أي لا يمكننا أن نضيف اليها فارقا سابعا وثامنا وتاسعا

أقول : نعم نستطيع أن نضيف اليها فوارق اكثر من ذلك ولكننا نحن سنكتفي هنا بهذا القدر وسننتقل الى أوجه الشبه بينهما فما هي يا ترى ؟

أولا : لقد تألم كل من طاغور وجبران لموت أهله وأقربائه وهذا الالم له اثر لا يستهان به على نزعة الشاعرين وفلسفتهما .

ثانيا : ظاهرة التمرد التي رافقتهما منذ الولادة حتى الوفاة .

ثالثا : لا يعني هذا ان الشاعرين قد نظرا الى الناس نظرة التبجح وعدم احترام الاخرين لا وانما اتفقا في صفة اخرى وهي « الخجل » الذي سيطر عليهما اثناء حديثهما مع النساء خاصة .

رابعا : ورغم هذا فكانا يحبان المرأة ويحترمانها

خامسا : كما كانت المرأة بدورها تحبهما وتقدر نبوغهما فلقد احبت معلمة طاغور طاغور كما احبت معلمة جبران جبرانها .

سادسا : وكما تغنى طاغور في شعره ونثره بجمال الهند كذلك تغنى جبران بمفاتن لبنان الطبيعية .

سابعا : التي تجذب السواح اليها من جميع بلدان العالم التي زارا معظمها .

واخيرا وهو اهم من كل ما تقدم اننا نرى ان طاغور وجبران قد طالعا روائع الادب الغربي والعالمي وتعرفا على شخصياته الادبية وغير الادبية .

كانت تلكم نقاط الاتفاق والاختلاف في سيرة حياة طاغور وجبران . فهل كان لها أثر على فلسفتهما ونزعتهما الانسانية ؟..

نظرة الانسان الى الحياة ومشاكلها تختلف من سن الى سن فالطفل ينظر اليها غير نظرة الشاب والشاب يراها بمنظار غير منظار الرجل الكبير ففلسفة الانسان تتبلور وهي تمر في المراحل التي يجتازها الانسان لتصل في النهاية الى عقيدة ثابتة .

هذا بالنسبة لفلسفة الانسان فكيف تكون فلسفة

الناس ؟! لابدع اذا قلنا انها تختلف من انسان الى آخر فهؤلاء يؤمنون بمذهب اللذة الجسدية وأولئك بمذهب اللذة الروحية وآخرون يحاولون أن يجمعوا بين المذهبين فريق من الناس يؤمن بآله واحد خالق السموات والارض وما بينهما وآخرون لا يؤمنون بشيء من هذا وحتى الذين يؤمنون بالله فانهم ينظرون اليه بعيون متباينة مختلفة ويدلون عليه حسب طريقة كل منهم . فمنهم من يراه قابعا في السماء ومنهم من يراه في كل انسان ومنهم من يخالف الاول والثاني في رأيه فكيف رآه جبران وطاغور؟

لقد رآه طاغور في كل كائن متجلي « وماثل في كل شكل هو الحبيب الذي ينتظر تحررنا من عالم الاشكال والالوان وعودتنا اليه عودة قطرات الندى الى خضم البحر الاعظم وما اكثر ما حن طاغور الى العودة وسهر الليل في انتظار الحبيب » هكذا اذن رأى طاغور آلهه فكيف رآه جبران ؟

رآه متمثلا به فهو هو . انهما يؤمنان ويتلاقان في « فكرة الاتصال المحكم بالله وهي فكرة ليست جديدة فقد دارت عليها رسالات الانبياء من قديم الزمان » .

وكما أننا نلمح شيئا من الصوفية في فلسفة طاغور وجبران فقيل عن طاغور « هذا الصوفي الكبير » وقيل عن جبران : بعض آرائه تشبه آراء المتصوفة .

وان اتهم جبران بالالحاد فهذا الاتهام في رأيي يرجع الى ثورته العنيفة على رجال الدين والكهنوت فيما كتب ونحن لا نبرأ ساحة جبران من بعض الالحاد ولكننا اذا ما قارناه بغيره وجدناه تحت الدرجة الوسطى من سلم الالحاد فهناك من الفلاسفة من كان اكثر منه الحادا ووجوديا ولكن كتبه لا تتعرض لرجال الدين اللبنانيين فلهذا سمحوا لها بالانتشار في شوارع بيروت ومكاتبها . اما جبران فلأنه تعرض الى مصالح هؤلاء أثار غضبهم وأمروا الناس بحرق كتبه لا لانه كفر بالله بل لانه فضح ألاعيب هؤلاء فلو نظرنا فيما قاله طاغور « الموت يوحد العديد والحياة تعدد الواحد يتوحد الدين حين يموت الله » لخففنا النقمة عن جبران فطاغور يجعل المسؤول الاول عن التفرقة الانسانية هو الله ـ حاشاه ـ أما جبران فيثور في وجه هؤلاء الذين يفرقون بين الانسان وأخيه من اجل ليرة ويدعو الى وحدة انسانية كاملة . فجبران لا ينظر بما في أيدي هؤلاء من مال وثروة وانما زهد في هذه الدنيا « زهد العارف القادر لا زهد الجاهل الضعيف » والزهد له أسباب فما هي اسباب زهد جبران ؟ وهل كان يشبه زهد ابي العتاهية أم زهد شيخ المعرة أم عمر الخيام ؟ فالوقت والمجال لا يسمحان لنا بالتحدث عن هذا . وهل زهد جبران في شبابه أم في أواخر حياته يمكنني أن أقول ان عمر جبران بالنسبة لطاغور هو عمر انسان شاب فزهده زهد شاب أما طاغور فلقد زهد من هذه الدنيا في أواخر حياته حيث يقول وهو على فراش الموت « لماذا لا يسمح لي بأن أموت بسلام ؟ ألم أعش كفاية » فلماذا قال هذا ؟ ولماذا استفهم من هؤلاء هل يرجع هذا الى عجزه ؟ ربما فلماذا لم يقل هذا وهو في شرخ شبابه ؟!

وثورة جبران على رجال الدين معروفة في كتابه « الارواح المتمردة » وغيره وكذلك ثورة طاغور على « الناسك » الذي وضع كتابا باسمه ظاهرة لكل ذي لب « ومرت به فتاة ذرفت أمامه دمعا ولمست بيدها يده ومسحت بزهر جبينه واذا كل هواجع الطبيعة تستفيق فيه واذا به يحطم عصا نسكه ويعود الى عالم الاشكال يبحث عن فتاته ويخبر ما زال يجهل من ذاته » .

وأمر يلفت الانتباه في فلسفة جبران ، فجبران يؤمن بالتقمص وبتناسخ الارواح « فما كان يحسب ولادته في شمالي لبنان مصادفة عمياء بل كان يعتقدها نتيجة لازمة لحياة سابقة » فهل يتفق في هذا الامر مع الهنود الذين يؤمنون بهذه العقيدة ؟ لا يحتاج السؤال للاجابة عليه بأكثر من كلمة نعم . ورغم أن الهنود قاوموا الاستعمار باللا عنف الذي دعا اليه غاندي فان طاغور لم ينضم الى هذا وانما ظل يدعو بشعره الى تعاون الانسانية ولكن جبران الذي تأثر بآراء زرادشت كان يكره مظاهر الضعف وكان يحب القوة وكان لا يؤمن بمبدأ واحد فتارة مع الضعيف واخرى مع القوي فهو مضطرب حتى في آرائه فمرة يدعو الى الاستمتاع واخرى ينفر الناس منه ونحن لا نلوم جبران اذا ما دعا الى الاستمتاع من ملذات الحياة لانه لم يتزوج والزواج يخفف من ميل الانسان الى الاغتراف من الملذات ان لم نقل يقضي عليها . فلو قرأت كتابه « الاجنحة المتكسرة » لوجدت ذلك ظاهرا لا ريب فيه . فهو يعرف الخير والشر والعدل والحرية فهذه أمور نشاهدها في قصيدته « المواكب » كما نشاهدها في كتاب وديوان طاغور « قربان الاغاني » و « طيور شاردة » .

وان أظهر طاغور معظم آرائه كما أظهرها جبران فان آراء اخرى كانت رمزا حيث « تراهن مرة صديقان على معنى قصيدة لطاغور عنوانها « الصدى » وقصداه يسألانه شرحها فاجاب بكل بساطة انه عاجز عن الشرح !» .

كانت تلكم فلسفة طاغور وجبران فما هو الاسلوب الذي صبت فيه هذه الفلسفة ؟ هذا السؤال يقودنا الى الحديث عن أدب الاديبين ولو بشكل موجز لانني لا أعلم هل يحب استاذي الفاضل مدحة عكاش الاطناب في الحديث أم الايجاز ؟ وعلى كل فلقد عبرا عنها بجميع فنون الادب من شعر ونثر ومقالة ومسرحية وقصة .. و .. الخ .

ولكن هذا التعبير هل كان معقدا غير مفهوم أم كان مفهوما وبسيطا لدى جميع القراء ؟ لنترك الاستاذ ميخائيل نعيمة يجب عن هذا السؤال:

« وانت اذ تطالع ـ الموسيقى ـ يستوقفك فيها أول ما يستوقفك نمط الكتابة يتميز بسهولة التعبير وحلاوة التلوين ولطافة الوقع وصدق النية وسلامة الذوق وعمق الاحساس والنزعة الى الابداع في الوصف والتشبيه فهو يتنكب المألوف من الجناس والمجاز ويحاول تحميل الكلمات من المعاني فوق ما تعودت حمله على ألسنة الكتاب والشعراء مثلما يحاول تجريدها من التفاهة والفحول فيقول لك ـ مثلا ـ في الموسيقى انها « جسم من الحشاشة له روح من النفس وعقل من القلب » ثم يتابع في الحديث عن أسلوبه فيقول : « وتلقي الكتيب من يدك فلا تشعر انك اكتسبت شيئا تجهله من علم الموسيقى او فلسفتها ولكنك تشعر انك شربت جرعة خمر بكر لو اتيح لها أن تتعتق لكانت أشهى مذاقا وابعد فعلا » .

هكذا رأى ميخائيل نعيمة أسلوب صديقه جبران في كتابه ـ الموسيقى ـ وهكذا يرى كل دارس لادب جبران شعرا ونثرا أن أسلوبه كان ولا يزال قبلة للادباء المحدثين . فهل كان أسلوب طاغور مثل أسلوب جبران ؟ لا أستطيع أن أجيب بدقة لاسباب منها انني لم أطلع على الادب الهندي لانني لا أعرف من لغته شيئا وثانيا ان الكتاب الذي عربه الاستاذ يوحنا قمير وأسماه طاغور لا يدل على أن هذا هو أسلوب طاغور فلربما كان الاديب قمير صاحب ذكاء فحين ترجم طاغور ترجمه بهذه اللغة الجميلة التي تشبه الى حد كبير لغة جبران فتقف مدهوشا أمام معظم عباراته بحيث لا تجد عبارة توحي اليك بضعف لا في الخيال ولا في اللغة فأستمع اليه وهو يتحدث عن « الناسك خارج الكهف » في الصفحة الاربعين فيقول : « لغيري أن يواكب الليالي والايام والشهور والاعوام أما أنا فقد توقف عندي تيار زمان يرقص العالم على موجه رقصة الهشيم ودقيق الغصون في هذا الكهف المظلم أقيم وحدي غارقا في طيات ذاتي الليل الابدي ساج سجو بحيرة في جبل خائفة في اعماقها الماء ينضح من الصدوع ويرشح .. » فلو تابعت القراءة لنسيت نفسك ولو مزقت الدفتان وقرأت ما بينهما لاقسمت أن هذا الكلام هو كلام جبران فحاول أن تقرأ ما أردت من كتب جبران وهذا الكتاب وعندها تجزم وتؤكد ما قلته سابقا . فهذا الاسلوب وتلك المعاني جعلت العالم ينظر بعين التقدير والاحترام لكلا الاديبين فلقد « نال هذا الديوان ـ قربان الاغاني ـ جائزة نوبل وطبع سنة ظهوره بالانكليزية ١٤ طبعة » ، « كما ترجم كتاب النبي لجبران الى عشرين لغة او اكثر وقد زاد عدد النسخ المطبوعة في الولايات المتحدة وحدها على المليون » .

وهذا يدل دلالة قاطعة على ان جبران قد اصبح علما من أعلام الادب العالمي المشهورين كطاغور وغيره فلو عمر قليلا لانتج لنا أدبا يضاهي الاداب العالمية ولنال جائزة نوبل رغم كونها تتعلق بالسياسة . فانظر ما قاله الاستاذ المرحوم عباس محمود العقاد فيها في كتابه « بين الكتب والناس » .

نعم لقد عبر جبران وطاغور عن فلسفتهما بهذا الاسلوب فهل عبرا عنها بأسلوب آخر ؟ نجيب بحرف عين محصور بين نون وميم نعم عبرا بطريقة الرسم حيث كان طاغور فنانا عرض لوحاته فنالت الاعجاب والسخط كما نالت لوحات جبران ذلك الاعجاب وذلك السخط ولم تكن جميع اللوحات التي عرضت والتي لم تعرض مفهومة ومعروفة الدلالة عند الناس وانما كان بعضها رمزا لامر من الامور فانظر الصورتين الموجودتين في كتاب طاغور والمحصورتين بين الصفحة الرابعة والعشرين والخامسة والعشرين نجد رسم فتاة وبجانبها فتى متوشحان بالبياض على لوحة سوداء كتب تحتها « لقاء القلوب يترك أثره على جدار الصمت » . وانظر كذلك الصفحة الثانية تجد لوحة سوداء مرسوم في داخلها حيوان بحري بشكل التمساح وعلى ظهره فتاة عارية وفي أسفل اللوحة كتب « بدأت الحياة فصلها المهم باسراف في اللحم وأتى الانسان الصغير ليبدد الابهام عن عقل الخالق » .

تلك كانت بعض لوحات طاغور الرمزية فما هي لوحات جبران ؟ لو نظرت في المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران العربية لوجدت بعض الرسوم التي رسمها الفنان المرحوم فهي رسوم لشعراء كابن الفارض وأبي نواس والخنساء وغيرهم كما تجد بينهم « بركة الدم » الرمزية وهي عبارة عن لوحة ربعها السفلي أسود تغوص فيه رجلا امرأة عارية وتحت يدها اليمنى رأس حيوان وفي يدها اليسرى شيء ينقط ماء فيحدث دوائر في السواد » .

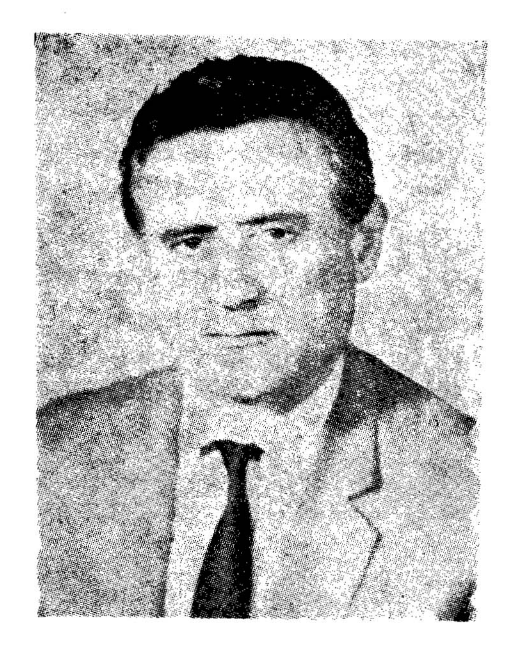
وله لوحة اخرى عن الحرية فلنترك الاستاذ الكبير والصديق الحميم لجبران ميخائيل نعيمة يتحدث عنها : « أما رسم الحرية ففيه من الألفة والاتساق والتوازن مثلما في رسم العدل لكنه يثير فيك شعورا وخيالات تظل تزدحم في روحك زمانا بعد أن يغيب الرسم عن عينيك فأنت تبصر فيه فتى بجناحين وقد أسبل جناحيه الى فوق وانتصب بقامته الطويلة وأفرج رجليه الواحدة عن الاخرى وجمع كل قواه للطيران ولكنه لا يستطيع أن يرتفع عن الارض تحدق في عضلاته المنكمشة من قوة الاجهاد المنصب بكل معانيه الى غاية واحدة فتكاد تقفز من مكانك لتساعده عله يرتفع الى الجو لكنك بعد ان ترى الحبال المحبوكة حول رجليه تدرك انه لن يطير حتى يقطعها وانها لا تقطع بسيف ولا تقرض بمطرقة هي حبال الرغائب والشهوات الارضية وكأني بجبران رسم نفسه بذلك الرسم وكأني به وصف نفسه عندما قال :

« والحر في الارض يبني من منازعه سجنا وهو لا يدري فيؤتسر » .

هذا غيض من فيض فالحديث يطول كثيرا كثيرا عن أدب طاغور وفلسفته وفنه كما يطول اكثر عن أدب جبران وفلسفته وفنه فلعل المقادير تسمح لنا في يوم من الايام أن نعود الى هذين العملاقين لندرسهما دراسة مستفيضة وافية .

أغاني القيثارة الخضراء

سليمان عواد



- ١ -

أنا أغنيـــة لم تبدأ بعد ٠٠٠
فصول العمر تتوالى
واحداث الزمن تمر
وأنا ، لا أزال متحفزا لاغني
لأفاجيء العالم بأغنيتي السكرى ٠٠٠
أنا أغنية لم تبدأ بعد
وأخاف أن أنتهي
دون أن أملأ الكون بهذه الأغنية !!٠٠٠٠

- ٢ -

حيثما تزمجر العاصفة
أحن الى العزلة والاستقرار
ابني لنفسي منازل من أفكار ، احلام ، رؤى
منازل تنتشي بخمرة العاصفة
وترسخ دعائم العزلة والاستقرار ٠٠٠
حيثما تلمع البروق ، وتدوي الرعود
أمكث طويلا
أمجد في الطبيعة روح القوة
روح اللا مبالاة ٠٠٠

- ٣ -

سموت فوق شواطيء الحياة واعماق البحار
بأجنحة النسور ، وصراحة القمر
كانت النجوم القطبية جيراني
واعالي القمم المغطاة بثلوج الشمال !!٠٠
سموت ، والرياح الثلجية اجنحتي
والنجوم القطبية عشيقاتي ومصباحي
سموت فوق الثلج ، الرياح
وقلبي الكبير شمس أبدية
تغمر الحزانى بفيض ساطع من انوارها ٠٠٠

- ٤ -

سأحمل قيثارتي الخضراء
واهاجر الى صحارى غريبة
صحارى مغمورة بالثلج والوحشة ٠٠٠

وهناك أعيش منعزلا
لا صديق لي سوى السهول الثلجية البيضاء

لا مسامر سوى الريح وعواء الذئاب
لا قمر سوى الحان قيثارتي الحضراء
وأغاني النيران المتوهجة في موقدي العالم
لا أنيس سوى خابية من النبيذ الوردي
من النبيذ الفكري الاكثر دفئا
من الدم المتدفق من الجراح ٠٠٠



من رؤى الامواج

«دراسة تحليلية لديوان امواج للشاعر عبد الرحيم الحصني»

بقلم : محمد غازي التدمري

ـ ١ ـ

بعد غربة طويلة ... عاشته في الضياع والتشرد.. والعبث الطفولي .. وبين الاجترار السقيم .. والتجديد المخيف .. وبعد أن كادت تفقد هويتها .. وتطمس معالمها .. وتضيع هيبتها .. ويخبو ضوءها .. تعود بقوامها المغناج .. ومداها الاخضر وبوحها الساحر .. تجتاز بهو الخلود الذي بنى اعمدته ـ امرؤ القيس .. والنابغة .. والمتنبي .. والمعري .. وساهم في دعم بقاء شموخه .. البارودي .. وشوقي .. وحافظ .. وشفيق جبري .. والبزم .. والعطار .. وبدوي الجبل .

تعود القصيدة العربية لتتربع على عرشها .. لا تزاحم .. ولا تقحم .. في عقر دارها .

ـ ٢ ـ

فالشاعر يحملها بروحه ودمه .. فكل ناطقة بلسان الشعر مالت عليه ، تتذوق ابداعه .. تنتشي بخمرته .. تهيم بسحره .. لانه حلو النغم .. دمث القلم ... شقي في ميدان الشعر وتعذب .. كما شقي من قبله المتنبي .. والمعري ... فكانت الكلمة الساحرة .. رفيقة آماله وآلامه .. في حله وترحاله ... عاش للشعر وحده .. متنفسه الوحيد .

يسامره ويناجيه .. فتبتسم له الكلمات .. وتنحني المعاني اجلالا لموهبته .. فتفتح الاحرف بوجهه الف باب يطل من خلالها عملاقا عظيما .. عظمة الحرف .. الذي يتحول على يديه .. بفضل ذكائه وفطرته .. الى نغم ربيعي المذهب .. فقد غاص في جنة المعاني فتناول العذارى منها .. ونثرها بسخاء حاتمي ـ محسود عليه ـ وطفح قلمه بكرائم البلاغة . فأفاض فيها بالسيل الدقاق .. دفعها زاخرة.. تشير الى باسق الموهبة، وافتخار الادراك .. وكمال الذكاء ، ونضج الشخصية ، ورهافة الحس ، وديناميكية الحواس ، التي أعطته سرعة فائقة في التقاط الصورة ، فلا يكتفي بتسجيلها بل يغوص في اعماقها ، يكشف حقيقتها .. وما تحويه من قيم جمالية يحتفظ بها لنفسه ولشعره ومن فضائل اخلاقية يبرزها بشكل واضح .. دونما تعقيد او تكلف ـ لتكون في متناول أيدي ومفاهيم الجميع ، والهدف منها .. أن تعلم .. وتربي .. وتسحر .. وتسكر .. وتأخذ بمجامع القلوب تنساب بعبارة واضحة ، واسلوب سليم .. فيه نكهة خاصة .. ولذة وعطر .. وفيه الفة وارتياح وابعاد جمالية .. تحلق في سماء صافية .

فقد اعطى لغته بروقا لوامع .. من الصفات المميزة لكل الاحداث التي تمر به على المستويين ـ العام والخاص ـ يلتقي فيهما اليأس مع الرجاء .. والحب بالمرارة .. وتأتي الثورة بالنهاية .. منطلقا يؤمن به .. يجعله ابن القضية .. وسلاحها في وجه الزيف والتشرد والضياع دون ان ينفصل عن ذاته ووجدانه وتجاربه .

ـ ٣ ـ

ابن الاصالة .. وخدين التراث .. الامين على اصالة الشعر .. من العبث والتجديد الى درجة تجعلك تؤمن بأن الشعر الاصيل بخير ... وما عبث الاطفال .. سوى زبد الموج الذي يلقيه عنفوان البحر .. على الشاطىء ليرتاح الى الابد .

وهو بحكم اخلاصه العجيب لتراث امته وتاريخها الخالد .. محافظ على هذا التراث وسلفيته في شكله ومضمونه .. لم يفصل الشكل عن الموضوع .. ولم يبعد المعنى عن الالفاظ ولم تجرفه بيارق التجديد .. ليبقى امتدادا للمتنبي و .. بدوي الجبل :

على الهوامش ضوضاء منمقة
باسم « الجديد » قلاها السمع والبصر

من مولد العرب حتى اليوم ما غربت
للشعر شمس ، ولا عاثت به الغير

تلك المسارح ـ لا والله ـ ما حسبت
اعمال من عجزوا فيها كمن قدروا

من لم يته بتراث الاهل مفتخرا
ـ فليت شعري ـ بمن يزهو ويفتخر ؟
قومي وان عبث الطاغي بموكبهم
لا ينبت المجد الا حيثما نفروا

وهو لا يكتفي بالسرد المباشر لقضية التلاعب في اللغة تحت ستار التجديد بل ينفعل غاضبا ، مطالبا بحماية التراث لانه امتداد لحضارة الامة العربية :

أما ترى القوم اذ غامت بصائرهم
فانكروا اللغة العصماء والكتبا
وحاربوا قيما ما زال وارفها
في دوحة الخلد روضا زاهيا خصبا
يا ضيعة العرب ٠٠ ضاعت كل غالية
على يديهم سرابا خادعا وهبا
أيعلم الصبية الاغرار أنهم
ما حاربوا الضاد الا حاربوا العربا

فالقضية لها ابعاد عظيمة لانها تتعدى حجج التجديد في بيت شعر أو قصيدة ، لتصل الى عملية هدم كاملة لسفر أمة بكامله ٠

ـ ٤ ـ

والشعراء ٠٠ « ابناء الالهة ، متكئون على الرفاف الخضر ٠٠ يصارعون القدر المجهول فهم الداعون الى الاقانيم الثلاثة ــ الحب ٠٠ الخير ٠٠ الجمال ٠٠ تنداح في معابدهم الآيات ، وينساح من أعواد مجامرهم العبق الشذي ٠٠ ويرقص من مساكب اورادهم ، انهم ارفع البشر » ولذلك فهم يتعالون عن احقادهم لان الله مسح قلوبهم بالمحبة فبادلوا الاساءة احسانا ، والذنب تحنانا وغفرانا ٠٠ كساهم الله جلباب الحكمة وأزرهم بالشهب فمن حناجرهم لياح الشمس ومن لياليهم هداية الاقمار ٠

ولذلك نفاهم افلاطون من مدينته الفاضلة ، حيث قال مخاطبا « آيون » :

« ان الملهمات تلهمك الشعر ، فأنت لا تقدم لنا فنا يفترض الجهد والمرانة ، بل تكشف بآثارك عن هبة منحتك اياها الالهة ، ان ربة الشعر هي التي تلهمكم ما تقولون وانتم تنقلونه الى الاجيال القادمة من بعدكم ، فينتقل اليهم الالهام عن طريقكم ، تلك حال كبار الشعراء ، الالهام والايحاء المقدس ، منبع شعرهم ، وهو نبع متعال عن حياتنا نحن البشر » ٠

تلك هي منزلة الشعراء عند افلاطون ، أما عندنا فهو ابن الشعب الذي يعيش على آلامه وآماله واحلامه ، فعندما يفرح الوطن يفرح الشاعر ، وعندما يتألم هو بحكم احاسيسه المرهفة أول من يبكي ٠

وامتنا التي رزئت قرونا تحت نير الاستعمار التركي وما ينوف عن ربع قرن تحت الحكم الفرنسي ، تستعيد حريتها ، ويرفرف في سمائها علم الاستقلال الذي دفع ثمنه الآلاف من الشهداء ، فعيد الجلاء حدث عظيم وخالد ، وعندما تمر ذكراه تجيش الخواطر بالصور ، تحمل الذكرى على شريط مجمل الاحداث ، فيهتز القلب طربا ، وينطلق الشاعر ليثير المشاعر ، ويدغدغ كمين العواطف :

ياموسم النصر في نيسان موعده
دانت بحرمتك الايام والعصر
فرشت ظلك نشوانا ، فكل غد
مستبشر ، باسم مخضوضل زهر
لم تدر عنك « فرنسا » ما حملت لها
حتى رأت كيف نجم السعد ينحدر

فالسابع عشر من نيسان موسم للخير والعطاء ، مثقل بالقطاف الزهر ، ويمضي شاعرنا في تصوير ملاحم الجلاء لتبقى خالدة في مسامع الدهر ، يبعث امجاد حطين وايام صفين ، تأخذ بمجامع القلوب ، تغلغل في اعماق النفوس بما تحمله من حرارة العاطفة وصدق الايمان ٠ والانفعال بالاحداث ٠

فالجلاء على ندى نعمه ، وجلال وقعه ، وافتخار يومه لم يكتمل ٠ ولن تكتحل عيوننا بيوم النصر الشامل حتى يرتفع علم العروبة على روابي القدس الجليلة ، وازالة الحواجز والحدود المصطنعة بين اجزاء الوطن الواحد :

من المحيط ، الى اقصى الخليج دم
يذوب بالوحدة الكبرى وينصهر
روحي وللوحدة العصماء انذرها
لا خيب الله من جادوا ومن نذروا
يا للحواجز أهلي اصبحوا زمرا
وكيف تخلص من آلامها الزمر
متى اراك جميع الشمل مزدهيا
والحق في ارضك الشماء ينتصر

ـ ٥ ـ

« من اجلك ٠٠ يا ذات النواقيس الحزينة ، والمآذن المعذبة ، اكفر بكل لغات العالم ما عدا لغة الدم والنار »

بهذا المنطلق ٠٠٠ منطلق الحق ٠٠ منطلق النار والبارود ٠٠ ومن منطق المشردين من ابناء فلسطين العربية ، وبحق الطفلة التي تسأل عن والدها وبالام تبكي شهيدها في الخيمة المنصوبة في العراء ٠٠ تهزها الرياح والعواصف ٠

فجميع هذه الصور تنصب في فكره ، تقلقه ٠٠٠ تعذبه لانه يؤمن بأن الكلام لا يوصل الى المسجد الاقصى ٠٠ وانما كل القطارات تتجه نحو الجبهة ٠٠ والطريق اليها لا يمر الا من فوهة البندقية :

عفو الجباة التي ذاب النهار بها
بعد الحرير الموشى ٠٠ تسكن الخيما
كان الرفاه ظليلا في ملاعبها
والحسن مؤتلقا ، والحب مبتسما
يا من لأنة مظلوم ولو سمعت
صيحاته في زحام الخطب ما ظلما

كفرت بالحلم رشدا لم يصن شرفـــا
يدمى ، ولم يحم يوم العاديات حمى
مهد السلام افـاق السيف وانتهكت
ستائر الزيف ٠٠ عما يصنع اللؤمـا
أبشر بفجر زهـــي الغــد مطلعه
غدا نحطم يـــوم العودة الصنما

هكذا يبدو البعد القومي في شعره ٠٠٠ يتجاوز فيه الجزء ٠٠ لينصهر في بوتقـــة الكل حيث القضية قضيـة أمة وشعب

– ٦ –

في موسم العبير ، آن يزهر الشجر ، وتنطلق اسراب النحل ٠٠ تمتص الرحيق ٠٠ يستيقظ القلب ويتحـــرك الوجدان ، فالخواطر ، والذكريات والهـــوى ، والشباب تتجدد مع الربيع ٠٠ مع الدفء ٠٠ فعندما يلتقي الدفئان ٠٠ دفء الشعر ٠٠ ودفء المرأة ٠٠ يصبح للحياة طعـــم خاص ٠٠ ونكهة عجيبة ٠٠ تعطي أملا لان يعيش ويحــلم ويغني ٠

ويمضي الربيع بجماله وبهائه ، ويطل الصيف بحره وبأمواجه المصطخبـــة وهنـــاك ٠٠ عـــلى الشاطىء اللازوردي ، يراها عروسا من عرائس البحر ، تتهادى على الشاطىء الازرق ، فتعيـد الصبوة الى نفسه ، وتحرك في مكامنه جذوة الشباب التي كادت السنون تأخذ بعنفوانهـــا وشبابها ٠

ايقظت لاهب وجـــدي بعدما ناما
فعدت للحب بعـــد البعد اعوامـا

ولحت بعد ارتحال الشعر عن خلدي
فكنت لحنا وابداعـــا والهامـــا

فاستنفذي ماشتهت عيناك من وتري
لولا الهوى مـــا ملات الكون انفاسا

بنت السواحل ٠ ما أحـلاك واهبة
اذا حدبت ٠٠ وما أنداك انغـــاما
رفيف جفنيك أغلى مـــا يبادلني
مدامة الحـــب آمـــالا والامـــا

فالمرأة والجمال ٠٠ والطبيعة الساحرة منهـل شعره بهديانه أجمل الاشعار :

أهديت حسنك أشعاري فلونهـــا
خمرا ٠ ويـــا طيب ما أهدت أياديه
روحي فدى خصلة بالوحـي سابحة
أرخى الصباح لهـــا ابهى لآليــه
يا موسم الورد في وجـــه عرفت به
ربا تحـــار البرايا مـــن تجليـــه

أصحو ، واسكر ، لا خمر ، ولا قدح
أستغفر الحسن هـــذا من مجـــانيه

لقـــد لامست جذوة الحب قلبـــه ، فانطلق يصور احاسيسه ٠٠ تصويرا بارعا نلمس فيه الصدق والعفوية وهما يكشفان لنا اللحظات التي عاشها الشاعر الطروب ، فاذا وصف رسم لك اللوحة بجميع تلاوينها ، فلا يخالـف من قال عن البحتري : « أراد أن يشعر فغنى » ٠

فكل القصائد التي كتبها الشاعر (عبد الرحيـــم الحصني) والمنشورة بديوانه (أمواج) الصادر عن وزارة الثقافة بدمشق قصائد غنائية راقصة ٠

ولا عجب فعبد الرحيم مـن مدرسة بـــدوي الجبل المعتمدة على صفاء الديباجة ومتانة التعبير ووضوح الفكرة، وجلاء العبارة ، وغناء الصورة ، وتجسيد اللفظة ، وايقاع الجرس الموسيقي الهادىء والمتزن ٠

ملأ فراغا في وصف ملاحم البطولـــة ، كما نجح في التعبير عن تجاربه الخاصة ، وحتى شعر المناسبة يتجاوز التقليد ، فقد عاش كل الاحداث ، ومال على الحب والغزل، فعب من منبعه أحلى الصور وأجمل العبارات ترفده عاطفة خلاقة ، أهلته لان يكون شاعر الحب والشباب ٠

لقد شعرت وانا اقرأ ديوانه ، وأهيم عبر مـــدارج التاريخ على أجنحة الخيال، اطوف في آفاقه المترامية، واحلق في أجوائه النضرة : ان هذا الصوت جاء مكتملا ليحرك الوتر الهاجع في القيثـارة ، ويبعث الـــدفء في الجسد الوسنان الغافي على كف الزمن فتستيقظ النفس لتواكب الاحـداث بكل ايمان وصدق ٠ والعديد من الشعراء حاولوا اعطـاء قصائدهم طعم الفواكه بشكلها ومذاقهـا ، لكنهـــا جاءت وكأنما صنعت من شمع ، أما هو فلشعره نكهة الفواكـــه القريبة من ذوقك ومذاقك ٠

– ٧ –

لست أدري كيف سيقابل المجددون هـذا الديوان ، وباي وجه يتصفحونه ، وفي كل بيت من ابياته سكين تقطع حبال الهامهم ، وتغلق بوجوههم أبواب الابداع ، فهـــو وثيقة أدبية تاريخية ، سيفاخر بها النقـاد والدارسون ،

لانه يبرهن على ان شعرنا الاكثر حبا والاكثر تقربا مـــن مفاهيمنا واذواقنا لا يزال حيا ، يواصل مسيرته حيـث ثبت من خلال آثار المدرستين بان شعرنا التقليدي بما لـه وما عليه غني بالاحاسيس والالوان والايقاعات ، واكثـر

مرونة وقدرة على استيعاب الحوادث الوجدانية والقومية ٠٠ مما يجعل امواج الشاعر (عبد الرحيم الحصني) تجربـة متكاملة استطاع ان يؤدي خلالها رسالة الشاعر المعاصر الذي يقع على عاتقه بناء صرح الحضارة العربية الجديدة ٠

محمد غالب التدمري

الطعام المالح

بقلم: مصطفى الحش



احتدم أوار المعركة بينه وبين والده ، فانقطع عن الدراسة ، ثم هجر متجر والده وركن الى العزلة ، يرين عليه الاسى ، فيذود الدمع عن عينه ، ويقبع ساهرا ليله ، يناجي طيفها الغالي ، ويستذكر حديثها عن الحب ونـار الوجد والسهد ، فيزكو جوى قلب • تارة يضحك وطـورا يبكي ، فلا يجد له عزاء ولا سلوى ، إلا أن يخف اليهـا ويجتمع بها • وما ان يفترقا حتى يعلل نفسه بالآمال ، في ان زواجه منها صائر لا محالة ، ان عاجلا أو آجلا •

كان اللقاء الاول محفورا في ذاكرته ومرتسما أمام ناظريه ••• لقد أقبلت عليه ، تخطر كقضيب البان • في عينيها ألق يتوهج كأنه النور الساطع • وحيت بتحية فحيا بأحسن منها • ومدت اليه يمناها ، بارتعاش ، فسعـى اليها مشرق البسمة ، وأخذها بيمناه المرتعشـة ايضـا • وتعانقت أعينهما برهة ، ثم التقى الثغران في قبلة ، كأنها السلسبيل ، ثم غابا في أحشاء الدجى برهة ، تزقه قبلة ويزقها قبلة ، كطائرين تقابلا على ضفة غدير ••• وأخيرا تعاهدا على شركة العمر ، لما سمعا وجيب قلبيهما متساوقا بين الضلوع •

وأنشب القدر أول سهم في تاريخ علاقتهما ، فخالط الكدر صفوهما ، إذ أخنى رأسه لوالده ، فوقع صك زواجه من ابنة عمه ، وكأنه لا يفعل شيئا ، بل كأنه يلهو ، حتى عندما زفت اليه •

تطاول البعد بينهما • ولكن أنى لحياته الجديدة أن تمحو ذكراها • واهتز كيانه بالسقم فانعكست على وجهه ، صورة للشقاء والآلام والعذاب • ولم تعد آهته بخافية على أحد • وانها لتصخب بالضر في حشاشة قلبه ، فيود محالا أن يخلص من مرها أو أن لا تزيد من ضرائها ••

طرق مسامعه ، ذات يوم ، أنهـا مريضة ، فهب كالملسوع ومعه الطبيب فدب الشفاء في أوصالها • وما كان الطبيب مداويها ، وانما كان هو الطبيب المداوي ، ومـا ان تعانقت عيناهما حتى انتعش قلبها ، ولـم تلبث أن نهضت من فراشها •

علا وجهها الجميل ورس شديد ، ورفت على شفتيها الرقيقتين رواء ابتسامة :

ـ لقد أطلت غيبتك ، فجزعت أن يكون قد أصابك مكروه فمرضت •

أطرق في خزي •

ـ ما كان غيابي إلا لاني ارتكبت ذنبا •

قاطعته بلعقة من عسل •

ـ مثلك من لا يأثم ٠

انشرح صدره فغذ فيها نظرة حانية ٠

ـ هذه عين الرضى ٠

وتمتم بخفوت :

ـ لا سعادة مع وخز الضمير ٠

تهدج صوتها العذب

ـ نفسي فداك ، ما همني زواجك ٠

انتفض كعصفور بلله الماء

ـ اذا كان هذا لا يهمك فما يهمك اذن ؟

تضرج وجهها بحمرة خفيفة

ـ حسبي أن حبك باق ٠

وبخشوع المذنب التائب

ـ ان حبك يسري في كياني مسرى الدماء في العروق٠

تلألأت بالفتنة

ـ لقد امتزجت روحانا في روح واحدة ٠ ومحال أن تنشطر الى روحين حتى ما بعد الموت ٠

ألحل على المستقبل فتظاهر بالغبطة

ـ هناءتي في قربك

مطت شفتيها وبحسرة ممضة :

ـ فرط الفارط ٠

وكمن يعزي نفسه

ـ مستحيل ،ستحيل ، فالقلب يخفق مرة ولن يخفق مرتين ٠

ونطقت عبراتهما بالحزن الدفين ، فأمطرت تبلل الخدود ٠٠٠ تضرعت اليه والدتها ألا يذهب مع الطبيب، فمكث اسبوعا الى ان استردت عافيتها وأزهر الورد على وجنتيها ٠ ولما هم بالرحيل ، تدحرجت الدموع من عيون البنت والام على السواء ، وهتك ستر الحياء فأوسع حبيبته لثما وتقبيلا ٠ ولما مد يده الى والدتها ، واحتضنته ، بكل عواطف الامومة ، وهي تصب الحرارة في توسلها :

ـ لا تطل غيابك ، فما أطيق أن أراها مريضة ٠

★

صب جام غضبه على والده فغدا في نظره انسانا غريبا مجلببا بالسواد : خداه مجرحان وعيناه تقدحان الشرر ٠٠ وقف على قبر أمه مستجيرا ، فانساب اليه قبس من روحها، نطق بلغة العقل :

ـ كلانا : والدي وأنا مجني عليه ٠ أنا كبش الفداء ووالدي ضحية التقاليد والتعصب والجهل ٠

طن في اذنيه صوت التقاليد ، ضعيفا كأنه صادرا من بئر عميقة :

ـ ابنة العم لابن العم ٠

وجلجل التعصب ككورس

ـ الزواج محظور بين طائفتين ٠

وعوى الجهل

ـ أنا الذي يعمي القلوب والابصار ٠

أسفرت الحقيقة عن وجهها الصبوح ، كالشمس الساطعة ٠ أدرك أن الجهل والتعصب والتقاليد البالية معوقات التقدم في المجتمع ، كالعصي في عجلة الزمن ، شهر عليها حربا عوانا ، فأذن في الناس : أن الحب يخلق المساواة ولا يفرق بين الاديان ٠ ولكنه ظل رهين حبه ، فجنح به الى طريق مسدودة ، تحيطه الخيالات والاشباح من كل جانب ، يبكي ويضحك ٠ ويكاد لا يصدق انه يعيش الى جانب امرأة ، وهي بعيدة عنه وتطير به الاحلام الى اخرى، يحسب أنه يحيا بها وهي بعيدة عنه ٠ وكثيرا ما كان يتلمس عنقه ، يحسب أن الدم يسيل ٠ فوالده ـ على حد علمه ـ ذبحه ذبح الجزار للشاة ، وهو على قيد الحياة ، وهيهات أن يشعر بالطمأنينة والسعادة الا في الاوقات الهنيئة ، يقضيها بين الحين والحين ، في القرية مع معبودته ٠



أضاءت شمعة الامل حندس الليل ، فاعرضت عن كل طلبات الزواج وختمت على كنز القناعة في صدرها ، فصمتت صمت القبور ، وألقت اليه زمام المبادرة ، يكفيها أن حبه لها باق ٠

عيل صبر والدها ٠٠٠ جاءه رجل مناسب يحمل اليه ثلاثماية ليرة ذهبية فاستلمها بيد وسلمه ابنته بيد ٠ أسلست قيادها ، كالحمل الوديع ، فسارت بحذائه مجذوبة العينين ، مكبوتة العبرة ، خشية أن تضام٠ وتعقبته فامتطت جوادا ، مثلما اعتلى جوادا وبيده زمام جواد آخر ، على متنه حوائج العرس من الثياب ٠ وغذا السير مسافات طويلة ، كأن على رأسيهما الطير ، الى ان جاوزا منتصف الطريق المؤدي الى منزل العريس ٠

أراد القدر أن يتحداه ، لما اراده أن يكون شاهد الوداع ، فابتلاه بهزيمة نكراء ٠ كان أحمد جالسا على هضبته ، يعاقر الخمرة مع صديق له ٠ وغير بعيد عن ناظريه مر الموكب٠أحس أن الارض تميد به وهم بالنهوض فما استطاع ، حسب أن يدا ضخمة تمسك خناقه وتحاول أن تقتله ، تعالت نفثات صدره تخترق الفضاء الواسع ٠ الجبال ملتصقة بالافق نحاسية باردة ٠ الطبيعة ساكنة لولا أن للنسيم رنينا متوترا ٠ ظلل نور عينيه خط ثقيل كشبح

الموت ، يدفعه الى البكاء ولكنه تجلد بحلية ، مط شفتيه فرنت ضحكة ، بها بقايا نشوة قديمة • ثم انكب على الخمرة ، يعب الكأس حتى الثمالة • وعاود العب مرات ومرات • واعتراه الذهول بعد ذلك ، فما استساغ طعاما ولا عرف نوما ، طوال خمسة ايام بلياليها حتى دب فيه السقم ولكنه لم يأو الى الفراش لكيلا يشمت فيه الشامتون •

وهكذا أغلق قلبه على غرامه ، يطوي صفحاته ، كمن يطوي صفحات كتاب جيد ، ويستذكر بلذة أسلوب الكاتب وكلماته وعباراته وصوره ، فيكاد يحفظها عن ظهر قلب •

ويتراءى له طيفها ـ وما أكثر ما يتراءى ـ فتراوده النشوة • في كل مكان لها أثر محبب • فالمقعد الخشبي أثير لديه لانها جلست عليه عندما جاءت مع شقيقتها ، تبتاعان الثياب • وهذه الزاوية من الشارع حبيبة الى قلبه ، لانه قرأ فيها اول كتاب منها و و ••• وحتى البيت فان كل شيء يذكره بها •••

دفع خالته أن توجه اليها الدعوة ففعلت ولكنها أشترطت عليه ألا يراها فيه فقبل • ولكنه ترك ضيفه ـ والدها ـ واقتحم جناح الحريم ، يرحب بها ويتلطف معها بالحديث • وكم وضع في اذنيه وقرا للعبارة التي كررتها خالته :

ـ ابرح مكانك يا أحمد وعد الى ضيفك •

أبدا لم ينعم بالسعادة في بيته ، مثلما نعم بها عندما كانت فيه • كأنها لم تخلق الا لتكون زهرته الفواحة ومصباحه المنير وطيره المغرد • محال أن تكون لزوجته عذوبة حديثها وجرس صوتها • لكأن هذا الجرس زقزقة العصافير • وأنى لزوجته جمالها ودلها ونظرتها وبسمتها بل قدها ورشاقتها • ولا تمشي كما تمشي زوجته ، بل تنقل خطوها على رؤوس أصابع قدميها ، فلا تسمع لمشيتها ضجة كالطير • وانها لتأكل أيضا ، قليلا من الطعام ولقمة لقمة ، وتجرع الماء فلا تكاد تجرع شيئا ، كالطير سواء بسواء ، لا يميزها عنه الا الحجم •

ويظل على هذا الحال ، يعدد صفاتها ، لا سمير له غير النجوى ولكنه لا يكشف أمره للناس ، فلا تظهر عليه علائم المدله الولهان بل لكأن ما مضى قد انقضى وراح ••••

★

ودارت الايام ، فجمعت الصدفة بينهما ••• تربع والد أحمد على عدة فرش وعن يمينه وشماله الوسائد النظيفة ، واقعى الزوج على ساقيه ، كالذئب ، يزجي ضيفه عبارات المجاملة والترحيب ثم تخافت بالكلام •

ـ فاوضت احمد بالتخلي عن وديعه فلم يقبل •

تصنع الوالد الجهالة

ـ ولماذا التخلي ؟ وهل أنت ملاق أفضل منها ؟

بلع ريقه وكمن يشهر افلاسه

ـ لا أفضل ولا أجمل ولكنها تميل بكليتها اليه •

اعتدل في جلسته ، وبكثير من الاهتمام

ـ وماذا كان جوابه ؟

ـ قال لي وكأنه في مأتم : مكتوب في اللوح المحفوظ أن ندفع ضريبة العذاب فلا أسعد بزواجي ولا تسعد

ـ هي ـ بزواجها •

تهدج صوت الوالد ، بعد صمت قصير

ـ هذه جنايتي •••

تخطف بصره ، عندما أقبلت وديعة ، كقارورة عطر مفتوحة ، تحمل طبق الطعام • فتوقف عن الحديث ، وتلمظ ، كنمر يتذوق مسبقا لذة الفريسة • واصبح فؤاده فارغا ، كالجائع المحروم • وحملق ، يحسب انه يزق كفايته من « السيروم » ، فما به حاجة الى الاكل وانما يروم شيئا آخر •••

تخابث الزوج ضاحكا

ـ مد يدك الى الطعام •

أفصح عن مكنوناته ، بعفوية

ـ مرأى وديعة أذهب عني الجوع والعطش •

وببراءة الطفل

ـ الولد سر ابيه •

قهقه الثلاثة بالضحك ، كمقبلات ••• أطبق فمه على الملوحة الزائدة في الصحن الاول ثم ملعقة إثر ملعقة في الصحن الثاني والثالث والرابع والخامس ثم تجرع كوبا من الماء وانكفأ الى الوراء ، وتفجر غيظه ، كالزائدة ؟

ـ يقيني انك تحسنين الطهي ، فعلام هذه الملوحة الزائدة ؟

وبتعجب شديد أردف قائلا :

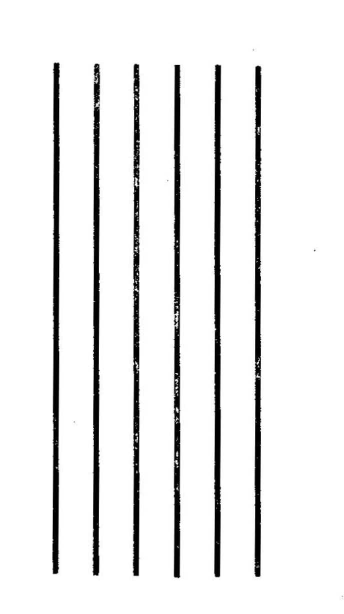
ـ لقد أحرقت قلبي بطعامك •

رشت على وجهها النرجس والياسمين • وحسبت انها أدركت ثأرها فأجابته بتشف تشوبه الحرقة :

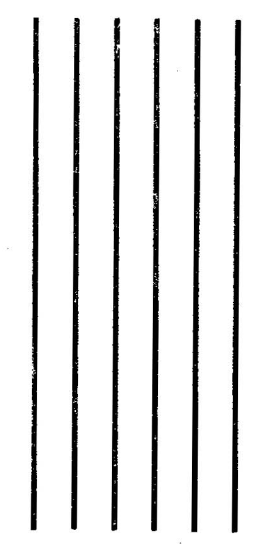
ـ لئن احرقت قلبك لدقيقة واحدة ، فلقد أحرقت قلبي الى الابد !••

مصياف — مصطفى الخش





تأليف : جيمس جويس



تعريب محمد صالح الملوحي

رن الجرس بعصبية وتبعه صوت غاضب صاح بلهجة ايرلندية حانقة :

ــ ارسلي لي « فرنغتون » الى فوق ·

ومن خلف الآلة الكاتبة خاطبت « مسز باركر » رجلا جالسا على مقربة منها وراء طاولة :

ــ « مستر آلن » يطلبك في الدور العلوي ·

تمتم الرجل لنفسه : ــ ليذهب الى جهنم ، وبعد أن دفع بكرسيه الى الخلف انتصب على قدميه فبدا رجلا طويل القامة ضخم البنية ذا وجه متهدل ووجنتين موردتين وشارب جميل وكانت عيناه جاحظتين وكان بياضهما عكرا ·

وصعد الرجل درجات السلم في تؤدة ثم قرع بابا ثبتت عليه صفيحة نحاسية نقش عليها اسم « مستر آلن » وسرعان ما واتاه صوت حاد : ــ ادخل ·

ودفع الباب ودخل المكتب · ورفع «مستر آلن» رأسه من فوق حزمة من الوثائق والاوراق كانت أمامه ووجه عينيه التي كانت تغطيهما نظارات ذهبية نحو الرجل · وكان منظر رأسه الاصلع يبدو كبيضة كبيرة الحجم وضعت فوق طاولة · وصاح « مستر آلن » بمستخدمه بغضب :

« فرنغتون » ما معنى كل هذا الذي يجري هنا ؟ لماذا تجعلني دائما اضطر الى الشكوى منك ؟ أيمكنني معرفة الاسباب التي جعلتك لا تنسخ العقد الذي طلبت منك نسخه قبل الساعة الرابعة ·

ــ ولكن ، سيدي ، « مستر شيلي » قال ···

وقاطعه بغيظ ظاهر :

ــ لا تكترث بما يقوله « مستر شيلي » أنت دائما تخترق الاعذار لتتهرب من العمل ، والآن اذا لم ينته نسخ العقد قبل المساء فسأعلم « مستر كروسبي » بالامر ، هل تفهمني ؟

وأجاب الرجل بكلمة :

ــ نعم ·

ثم تابع « مستر آلن » خطابه :

ــ عندما اتحدث معك أتخيل نفسي كأني أتحدث الى جدار وليس الى انسان · وانبهك بان فترة غدائك نصف ساعة وليس ساعة كاملة · والآن تستطيع أن تذهب ·

وعادت البيضة الى انحنائها السابق · وثبت «فرنغتون» بصره على تلك الجمجمة اللامعة التي تدير أعمال شركة « كروسبي وآلن » وأحس بالغيظ يكاد يخنقه ، وسرعان ما تلاشى تاركا وراءه احساسا لاذعا بالظمأ · وشعر في قراره بانه يحتاج هذه الليلة الى شراب قوي مسكر يروي به هذا الظمأ · غير انه تنبه الى ان جيبه فارغة بعد أن مضى أكثر من منتصف الشهر · وكان بوسعه أن يحصل على بعض النقود من أمين الصندوق فيما لو كان قد أنهى نسخ العقد · وفجأة بدأ « مستر آلن » يعبث بالاوراق المكدسة أمامه باحثا عن شيء فيها · ويبدو انه لم يشعر

بوجود مستخدمه الا حين رفع رأسه مرة اخرى وصاح به :
ــ ايه ــ أتظل واقفا هكذا الى الابد ؟ انك لا زلت تأخذ الامور بغير اكتراث .

ورد « فرنغتون » بفتور :

ــ ولكنني أنتظر كي أفهم فيما اذا ...

وقاطعه :

ــ أنت ليس بحاجة الى الانتظار كي تفهم ، اهبط السلم وباشر العمل .

ويمم الرجل شطر الباب بخطوات ثقيلة وبينما كان يغادر الغرفة وصل الى مسمعه صياح رئيسه مهددا بانه اذا لم ينته من نسخ العقد قبل حلول المساء فسوف يخبر « مستر كروسبي » بالامر .

ولما جلس « فرنغتون » الى طاولته شرع يعد صفحات الورق التي بقيت بحاجة الى النسخ ، ورفع قلمه وغمسه في المحبرة التي أمامه وبدأ ينسخ .

كان المساء يقترب وشعر أن عليه أن يروي ذلك الظمأ القاتل في حلقه فقرر الذهاب الى البار المجاور ، وبعد أن أخرج من جيبه قبعة تشبه قبعة الرعاة ووضعها على رأسه انطلق الى الخارج . وسار بخطوات متئدة كأنما يريد أن لا يشعر بمسيره أحد ، وبسرعة اختفى وراء المنعطف ودلف الى البار . وفي الداخل أحس بالامن وصاح بالساقي :
ــ « بات » الي بكأس من الجعة .

وجلب له الساقي كأسا من الجعة الداكنة أفرغها في جوفه دفعة واحدة ، ثم اخرج من جيبه بنسا ألقى به على الطاولة وخرج الى الشارع ولم يشعر بوجوده أحد .

كانت سماء شباط قد غشيها ظلام مشوب بضباب كثيف وكانت مصابيح الشوارع قد أضيئت . وساءل نفسه ترى أباستطاعته اتمام النسخ في الوقت المحدد . وعندما دلف الى المكتب صدمته رائحة عطر قوية استولت على حواسه وجعلته يتنبه الى ان « مسز ديلاكور » لا بد قد جاءت الى المكتب اثناء غيابه . واقترب من طاولته وهو يتظاهر بشرود ذهني . وعلى الفور تقدم منه رئيس الكتبة ينبهه بصوته الاجش قائلا :

ــ ان « مستر آلن » كان قد سال عنك ، هل أعرف أين كنت ؟

ولم ينبس « فرنغتون » ببنت شفة بل عاد الى جلسته المعتادة خلف الطاولة وترك « مستر شيلي » يتابع قوله :
ــ ان الاعيبك لا تخفى علي ، تابع عملك ولا تنس أن تأخذ لـ « مستر آلن » مراسلات « مسز ديلاكور » .

وبعد أن انتهى من كلامه صعد رئيس الكتبة السلم بسرعة مرتطما بطريقه بالحاجب . أما « فرنغتون » فقد أدرك أنه لن يتمكن من اتمام نسخ العقد قبل الخامسة والنصف . وبينما كان الليل الرطب والمظلم يقترب كانت نفسه تزداد شوقا الى قضاء الليلة في البار مع أقرانه وسط وهج النار ورنين الكؤوس . واخرج من درج منضدته مراسلات « مسز ديلاكور » وتفقدها فوجد أن رسالتين مفقودتين وأمل أن لا يلاحظ « مستر آلن » ذلك .

ولما اقترب « فرنغتون » من باب غرفة المدير كانت رائحة العطر تنتشر في كل الاركان ، ودلف الغرفة ووضع الرسائل أمام المدير على المكتب وتراجع الى الوراء وهو ينحني احتراما ، غير أن « مستر آلن » و « مسز ديلاكور » لم تنتبها لانحنائه وبعد أن نقر « مستر آلن » الرسائل باصبعه ألقى بها اليه قائلا :

ــ حسنا ، باستطاعتك أن تخرج .

وكانت « مسز ديلاكور » امرأة في أواسط العمر يدل مظهرها الخارجي على انها يهودية وقد كان يقال أن « مستر آلن » مولعا بشدة بها أو بنقودها . وكانت تأتي الى المكتب أحيانا وتمكث فترة طويلة . وكانت جالسة بجانب المكتب والعطر يفوح منها ، بينما يدها كانت تدلك برفق قبضة مظلتها ، أما الريشة السوداء التي كانت تعلو قبعتها كانت تهتز مع حركة رأسها . وكان « مستر آلن » قد أدار كرسيه كي يجلس قبالتها بعد أن ألقى برفق قدمه اليمنى لتستريح على ركبة قدمه اليسرى .

ونزل « فرنغتون » الى الدور السفلي وجلس الى طاولته ولاحظ أن رئيس الكتبة كان يستعجل « مسز باركر » كي تنتهي من طبع الرسائل على الآلة الكاتبة من اجل ارسالها بالبريد . وأصغى « فرنغتون » الى صرير الآلة المزعج لبضع دقائق ثم شرع بالعمل . غير ان فكره لم يكن معه بل كان في البار . وتابع النسخ . وعندما دقت ساعة الجدار تعلن الخامسة مساء كان لا يزال أمامه اربعة عشر صفحة لم ينسخها بعد ، وقتئذ تملكته رغبة عارمة للعن والسباب وود لو يضرب بقبضة يده أي شيء حوله . لقد كانت ثورة غضبه شديدة بحيث أنه كرر احدى الكلمات مرتين وهذا ما أجبره على أن يبدأ من جديد صفحة نظيفة .

وشعر برغبة ملحاح بالخروج طلبا للمتعة واللذة ، كان كل شيء فيه يتوق الى القصف والعربدة . واستشاط

غضبا عندما تذكر الاهانات التي تلقاها في حياته وساءل نفسه هل بقدرته أن يحصل من أمين الصندوق على سلفة . غير أنه كان متأكدا ان امين الصندوق سوف لا يلبي له طلب .

وغرق في بحر من تأملاته ولم يستفق الا بعد ان سمع اسمه يلفظ مرتين ، ولما التفت وقع بصره على « مستر آلن » و « مسز ديلاكور » وقد وقفا على مقربة منه . وكانت أبصار جميع العاملين قد تركزت عليه توقعا لحدوث شيء ما .

وبدأ « مستر آلن » يشتم ويلعن صائحا بان رسالتين قد فقدتا ، واجاب « فرنغتون » بانه لا يعلم عنهما أي شيء ، وقال « مستر آلن » :

ـ أنت لا تعلم أي شيء ، بالطبع أنت لا تعلم أي شيء .

وبعد أن القى نظرة على « مسز ديلاكور » أضاف قائلا :

ـ ولكن اخبرني هل تعتبرني غبيا ؟

ولم ينبس « فرنغتون » بكلمة بل لزم الصمت .

وعرت الدهشة الجميع حتى كادت أنفاسهم تتوقف ، وارتسمت على فم « مسز ديلاكور » ابتسامة عريضة بينما كان وجه « مستر آلن » قد اصطبغ احمرارا كالوردة البرية ، وهز قبضة يده أمام وجه « فرنغتون » فبدا اهتزازها كاهتزاز الزر في الآلة الكهربائية ثم صاح :

ـ أيها الوحش الوقح ، سوف أطردك من العمل ، سترى ان لم تعتذر لي عن وقاحتك .

ووقف « فرنغتون » في الشارع أمام الباب الخارجي للمكتب في انتظار خروج أمين الصندوق . وبعد ان خرج جميع المستخدمين خرج أمين الصندوق بصحبة رئيس الكتبة ورأى أنه لا يستطيع الكلام مع أمين الصندوق بوجود « مستر شيلي » وشعر بموقفه حرجا جدا . وتذكر كيف انه أجبر نفسه على الاعتذار من مديره بسبب وقاحته . فهو لا ينسى كيف طرد « مستر آلن » « بيك » من المكتب من أجل أن يضع مكانه ابن أخيه . وأحس بالظمأ الى الانتقام وادرك أن « مستر آلن » لن يمنحه ساعة من الراحة . سوف تغدو حياته جحيما لا يطاق . لقد جعل من نفسه رجلا غبيا هذه المرة . ألم يكن باستطاعته أن يمسك لسانه ولو لحظة ؟ ولكن من البداية لم يكن هو ومديره على وفاق اذ ساءت الامور بينهما منذ اللحظة التي ضبطه فيها يقلد بسخرية لهجته الايرلندية مسليا بذلك « مسز باركر » .

وزاد حنينه الى الذهاب الى البار . وكان الضباب قد بدأ يقرص جسده . وساءل نفسه باللجوء الى ساقي الحانة والاستدانة منه . ولكن كان يعرف في قرارة نفسه أن « بات » لن يقرضه سوى شلن واحد وهذا لن يكفيه . لقد كان قد صرف آخر بنس كان بحوزته منذ ساعات ثمنا لكأس الجعة وعليه الآن أن يحصل على النقود من أي مصدر كان . وفجأة فطن بساعته وخطرت له فكرة رهانها ، وفي الحال توجه الى مكتب الرهان في شارع « فليت » .

وبعد ان رهن ساعته بست شلنات غادر مكتب الرهان بفرح مسكر . وكانت مماشي شارع « وست مورلاند » التي تسلكها المارة مكتظة بالشباب والفتيات العائدين من أعمالهم وبالاولاد الذين يصيحون بأسماء صحف المساء . وشق طريقه بين الزحام يرمق من حوله بخيلاء . وكان رأسه يضج بجلبة الباصات واصوات اجراس عربات الترام وأنفه تخنقه رائحة البنش المنعشة .

بدأ المطر ينزل رذاذا وكان الجو مشبعا بضباب كثيف ، وتوجه « فرنغتون » الى بار « السكوتش هاوس » الذي كان يمتلىء برواده المتدفقين ، وكان يسمع في الداخل اصوات السكارى وقرع الكؤوس والعملة ، والتقى بأقرانه الذين كانوا قد جلسوا حول طاولة مستديرة . وعرفه اصدقاءه الى شخص يدعى « ويزارز » وهو ممثل كوميدي في مسرح « التريفولي » وطلب « فرنغتون » شرابا للجميع على حسابه الخاص . ثم وعدهم « ويزارز » بانه سيأخذهم الى المسرح ليعرفهم الى بعض الفتيات الجميلات اللواتي يعملن معه ، ثم غادرهم « ويزارز » آملا أن يقابلهم فيما بعد في حانة « مليجان » .

وعندما أغلق البار أبوابه توجه الجميع الى حانة « مليجان » وكانت نقودهم على وشك النفاذ ولكن كان لا يزال هناك ما يجعلهم يتابعون متعتهم . وبينما كان « فرنغتون » يعب كأسا من الجعة وصل « ويزارز » وما هي الا دقائق معدودة حتى دخلت الحانة فتاتان بقبعتين كبيرتين برفقة شاب وجلسوا معه الى طاولة مجاورة . وحياهم « ويزارز » وأخبر أقرانه بانهم يعملون معه في «التريفولي» واستقرت عينا « فرنغتون » على احدى الفتاتين . لقد كان في مظهرها ما يثير الشهية . وكانت الفتاة قد ربطت حول قبعتها وشاحا أزرق اللون يصل الى أسفل ذقنها . وقد

ارتدت قفازين صفراوين وصلا الى مرفقيهـــا الجميلين ، وثبت « فرنغتون » نظره باعجاب على ساعدها المكتنز الذي كانت تحركه بين الفينة والفينة بطريقة مغرية ومثيرة • وعندما بادلته بنظرة او نظرتين أثـار اعجابه عيناهـــا العسليتان وتلك النظرة المائلة • ولما خرجت مع اصحابها مسته برفق اثناء سيرها وقالت : أو ، عفوا ــ بلهجة أهل لندن ، ولحقها بنظره وهي تغادر الحانة آملا أن تنظر اليه ولكن خاب أمله • وهنا لعن حاجته الى النقود كمـــا لعن النقود التي دفعها على حسابه ثمنا للمشروب • كان أشـد ما يثير غضبه وحنقه هو الانسان الطفيلي •

وعندما تنبه الى الحديث الذي يدور من حوله وجد ان أقرانه يتحدثون عن القوة ، وكان « ويزارز » يتباهى بعضلات ساعديه القويتين ممـــا دفـــع بالآخرين الى حث « فرنغتون » على مباراته • وعلى الفور شمر « فرنغتون » عن ساعديه واراهم عضلاته ، وبعد ان تمت عملية مقارنة العضلات بعضها ببعض أفرغت الطاولة ووضـــع كل من المتبارين يده بيد الآخر وبـدأت المباراة • وقد كـــان « فرنغتون » تبدو عليه سيماء الجد والتصميم • وكان كل منهما يحاول أن يخفض يد الآخر نحو الاسفل •

وبعد ثوان استطاع « ويزارز » أن يهزم خصمه ، وتضرج وجه « فرنغتون » غيظا وحـزنا عندمااكتشف أن غلاما مراهقا استطاع هزيمته ، وأعيـــدت المباراة للمرة الثانية ، وبرزت عروق جبين « فرنغتون » الى الامام بينما كان الشحوب الذي غطا وجه « ويزارز » يتحول الى احمرار كانت ايديهما تهتز وترتجف تحت الضغط ، وبعد صراع شديد استطاع « ويزارز » أن يتغلب على « فرنغتون » للمرة الثانية ، وطافت في المكان همهمة من الابتهـــاج • وهز الساقي الذي وقف يتفرج على المباراة رأسه الاحمر وخاطب المنتصر بقوله : ــ هذه هي البراعة بحق ، واستدار نحوه « فرنغتون » وصاح به بسخرية لاذعة : ــ وما ادراك أنت بالبراعة ، وصاح « أوهلارون » : ــ ادفعوا الحساب ، فقد حان وقت الرحيل •

كان رجلا عابس المحيا يقف على منعطف شـــارع « بريدج » ينتظر حافلة الترام الصغيرة كي تقله الى منزله• كان يستشيط غضبا ونقمة ، لقد شعر بالمذلة مع انه لـم يشعر بالسكر ، لقد رهن ساعته وصرف كل نقوده ولـم يستطع أن يسكر او يغيب عن الوعي • بدأ يشعر بالعطش من جديد يسري في كيانه ، وتمنى لو يعود مرة اخرى الى البار • لقد فقد شهرته كرجل قوي بعد أن هزمه غـــلام مراهق ، وتأجج قلبه غضبا عندما تذكر الفتاة ذات القبعة الكبيرة التي مسته برفق أثناء خروجها من البار •

وانزله الترام على مسافة غير بعيدة من البيت الذي كان يكره العودة اليه ، وعندما دلف الى البيت من البـــاب الجانبي الذي يؤدي الى المطبخ لم يجد أحدا هناك ، ولاحظ أن نار الموقد قد انطفأت ، وصرخ بأعلى صوته نحو الطابق العلوي : آدا ، آدا :

لقد كانت زوجته ذات وجه مستقيم ودقيق • تزعجه عندما يكون بكامل وعيه ويزعجها عندما يكون غائبا عن وعيه • وكانا أبوين لخمسة اطفال •

وهرع ينزل السلم طفل صغير ، ونظر « فرنغتون » في العتمة وعاود صياحه : ــ من هذا ، واجابه صوت رقيق ــ بابا ، وأجاب الرجل : ــ من هذا ؟ شارلي •

ــ كلا ، بابا ، أنا توم •

ــ أين أمك ؟

ــ لقد ذهبت الى الكنيسة •

ــ حسنا ، هل فكرت بأن تترك لي العشاء •

ــ نعم يا بابا ، بل أنا •••

وقاطعه :

ــ أشعل المصباح ، ما الغاية من ترك بيت في الظلام هل اخوتك في الفراش ؟

والقى « فرنغتون » بثقله على أحد الكراسي بينما الطفل الصغير كان قد انتهى من اشعال المصباح ، وبدأ الاب يقلد نبرة صوت ابنه الطفولية قائلا لنفســـه : ــ الى الكنيسة ••• الى الكنيسة ••• ثم ضرب بقبضة يـــده الطاولة وصرخ :

ــ عشائي ! واجاب الطفل : ــ سأحضره لك يا بابا • وهب الرجل واقفا وهو غضبان وأشار الى النـــار وصاح : ــ على هذه النار ! سأعلمك كيف تفعل ذلك ؟

واتجه خطوة نحو الباب وتناول عصا كانت موضوعة بجانب الباب وصرخ بينما كان يرفع قميصه عن ســـاعده باليد الاخرى كي يتمكن من الحركة بحرية : ــ ســـأعلمك كيف تترك النار تنطفىء •

وصاح الطفل الصغير : ــ آه بابا ، بابا •

وركض حول الطاولة وهو يبكي ويصرخ ، وطارده الاب وامسكه من ثوبه ، وتطلع حوله وعندما لم يجد سبيلا الى النجاة ركع على ركبتيه واستسلم لضربات أبيه القوية •

محمد صالح الملوحي

قراءة في العدد الماضي

★ : رضوان الحزواني

في العدد الثاني من مجلة الثقافة طلع علينا الاستاذ سمر روحي الفيصل بقصته « الممثل يرشق الناس بالرصاص » • لن أمسك مبضع النقد ، ولن أبدأ بتشريح أعضاء القصة عضوا عضوا ، ولكني أريد أن أرسم شخصياتها كما رسبت في نفسي ، وأن أتحدث عن أسرارها كما أوحت بها الي ، أما لماذا أعني بدراستها ، وما الغاية المرجوة من ذلك وهي شخصيات من صنع الخيال ؟•

قصة الاستاذ سمر ـ في اعتقادي ـ قصة حقيقية لانها تطرح مشكلة انسانية من خلال شخوصها وأبطالها ، بحيث تشعر أن كل شخص من شخوص القصة وكل بطل من أبطالها كائن حي يعيش ويتنفس ••• يتألم ويفرح ، يتضايق ويصرخ فاذا هو انسان من دم ولحم وعصب ونفس وروح وعقل وسخف وعبقرية •••

يقول الدكتور محمد مندور : كم من شخصية ما تزال مبعثرة غامضة حائرة ، حتى يتاح لها مؤلف يجمع أشتاتها ، ويوضح معالمها ويدعم حياتها ، فاذا هي أبقى على الزمن من البشر ، واذا بها تجتاز الاجيال مستقلة الوجود في مأمن من الفناء لانها أعمق في الحياة من كل حي وأصدق دلالة من كل واقع •

ويقول (مورينو) ليس بين الحقيقة والخيال صراع فكلاهما عنصر فعال في مجال أوسع هو عالم الاشياء والاشخاص والاحداث ، ذلك العالم الدرامي النفسي ، وفي منطق هذا العالم يكون شبح هملت حقيقيا ومن حقه أن يوجد كهملت نفسه سواء بسواء ، والاوهام والهلوسات تكتسي باللحم ، أي انها تجسم على المسرح كما تظفر بتساو في المنزلة يصحبه مدركات حسية عادية •

ولكن هل تستحق مثل هذه الشخصيات تلك الدراسة وهي لم تعش معنا الا لحظات قصارا ، ولم نجلس اليها الا الدقائق التي قرأنا فيها هذه الاقصوصة ؟ صحيح أن القصة القصيرة ، والقصيرة جدا ليست ذات مضمون واسع، ولا تحتمل تفسيرات كثيرة ، بل هي لمحة خاطفة انتقادية او تصويرية لجانب من جوانب الحياة ، او المجتمع أو النفس ، وقد تكون انطباعا ذاتيا ، ولكن ذلك كله لا ينفي اشاراتها الانسانية ، وشخصياتها التي نستطيع عادة إلباسها ثيابا نحددها نحن القراء •

ان المتعة لا نحصل عليها بمجرد معرفة الحوادث والشخصيات الطريفة ، بل من التفسير الذي يقدمه القاص لها ، ولا يهم بعدئذ أيقبل القارىء ذلك أم يرفضه ، فان هذا متعلق بمدى موافقته لخبرته الخاصة في الحياة ، ودون شك فانه يسعد الكاتب أن تترك قصته في أذهان الناس تساؤلات وخيالات هي كلها أو بعضها صحيحة سواء أأرادها أم لم يردها ، فهو انما ينتقي ألفاظه وشكل عمله بعد أن يتحدد لديه المضمون الذي يقصد اليه ، لكن وقوعه على الفكرة الطيبة ، واختراع الشخصيات والحوادث لها ، لا بد أن يصحبه التغلغل في أعماق النفس البشرية •

والاستاذ سمر ـ كما تعودنا أن نجد في أقاصيصه السابقة ـ بينه وبين الشخصيات التي يخرجها للنور علاقة قربى وشيجة ، وصحبة حميمة ، وإلفة ومودة ، فهو مثلا في قصته « أشياء للذكرى » المنشورة في العدد ٤٧١ من الثقافة الاسبوعية ، عميق التأثر ببطل القصة « جمعة » ينفعل بانفعالاته ، ويحلق مع خواطره ، ويستعذب سذاجته وطموحاته ، فاذا ما سقط شهيدا ، نكاد نرى العبرات تذرف من عينيه ، ويسهم في لملمة أشيائه ، وجمعها في صندوقه الخشبي ، لترسل الى ذويه للذكرى • ونرى الاستاذ سمر أيضا في « أم الشراطيط » المنشورة في العدد ٥١٣ من الثقافة الاسبوعية ، يعقد صداقة متينة بينه وبين شجرة البلوط ، ويجعلها تفكر وتحس وتعي ، وتشاركه أحلامه وآماله وآلامه ، ويجعلها تتطلع بلهفة المتشوق الى الطريق المؤدية الى فلسطين •

وهو هنا أيضا في « الممثل يرشق الناس بالرصاص » يعايش أبطال قصته ، ونلمحه في صفوف المتزاحمين على باب المسرح ، وبين المتفرجين القاعدين على المقاعد ، ونلمح تساؤله الاخرس على وجه البطل بل ونسمع نبرات صوته « النزقة » في شفتي الممثل وفي نظراته المفعمة باللوم والتقريع • لقد عاشت هذه الشخصيات بما فيها من عمق وسطحية وسلبيات وايجابيات في نفسه ، وهو عاش في ذواتها فاذا ما أبرزها الى الوجود ، وجمع أشتاتها ، ووضح معالمها ، صارت أعمق في الحياة من كل حي ، وأصدق دلالة من كل واقع ، فكان من ذلك خلق جديد •

لكني لا أنكر أن الاستاذ سمر قد ظلم هذه الشخصيات وبخسها حقها من مزيد من التصوير والمعالجة والتعمق ، انها شخصيات تستحق لان تكون أبطالا لرواية طويلة تستعرض حيواتها في شتى ألوانها وظروفها وأطوارها ، عل القارىء يحس بتعاطف أكثر معها ، ويسوغ تصرفاتها ، ويؤيدها في اصدار أحكامها •

★ في القصة شخصية البطل (وهو الراوي نفسه) ، وشخصية الممثل ، ثم الام والناس •

ـ أما شخصية البطل فاننا نستطيع سبر غورها من خلال سلوكه واسلوب تفكيره وتصرفاته ، هو انسان ضعيف الشخصية ، إمعة ، يقلد الناس تقليدا أعمى في صخبهم وعبثهم وضجيجهم وفوضويتهم وفي جبنهم أيضا ، يدخل المسرح معهم من الباب الجانبي المخصص لدخول الممثلين ، ويزاحمهم بالمناكب أثناء الدخول ، ويشاركهم

الصخب والفرحة بهذا الصخب ثم يسايرهم في طواعيتهم للنظام اثناء الخروج وخنوعهم ورضوخهم ، وعلى الرغم من أنه يدرك الخطأ في ذلك فانه يتلمس الاعذار والمسوغات لنفسه ، لديه شعور بالنقص ، وادراك واحساس بضعف تجربته ، فيجد انه من الضروري أن يعوضها بالخوض مع الخائضين دون أن يكلف نفسه بالتفكير بصواب ذلك وخطئه ٠

يخفق في عمله عشر مرات متتالية ، ويشعر بشماتة الجيران ، وتجرحه سخريتهم كلما رأوه عاطلا : « إنه طرد !٠٠ » لا بد أن إخفاقه عائد الى أسلوب التربية التي تلقاها على يدي أمه ، والى التدليل والترفيه وتحقيق الرغبات ، دون أن تبذر فيه الاستعداد لمجابهة العواصف ، والاحباطات ، حتى اذا ما ألقي في خضم الحياة حار في أمره وأسقط في يده ، وأخفق المرة تلو المرة ، ووقع فريسة اليأس والقنوط ، وهو ذاته أدرك بعين الوعي كل هذه الاشياء ، فنراه ينحي باللائمة على أمه ، ويرجع الاسباب اليها ، ويحملها مسؤولية كل ذلك ، هو في شعوره الباطن يدرك هذا ، لكنه لا يظهره ولا يصرح به بل يذهب الى أن الواجب عليه احترامها وشكرها لما أبدته نحوه من عطف وعناية وحب ، لا سيما حبها الغامر ، وتباهيها به وبتربيتها الممتازة له وبهجتها الكبيرة بانه معفى من خدمة العلم ، إذن هناك تعارض وتصارع بين الشعور واللا شعور واحساس بمأساة حياته ، ومرارة وجوده فيجد نفسه ضامرا شيئا من الكراهية الخفية لامه ، ورغبة مكتومة في الانتقام منها ، ومن نفسه ، ومن المجتمع ، لديه شعور بالنقص ، واحساس بالذنب ، فهو يعتقد انه يستحق كل ما يتعرض له من إخفاق في العمل ، وشماتة من الناس ، وحكم بالاعدام من الممثل ، فنراه لا يغضب ولا يثور ولا يقاوم عندما يصاب بالرصاص في يده اليسرى ، أو عندما يحقره الممثل: جبان ٠٠٠ جبان ٠٠ يسمعها ، ولا يفهم معناها ولا يجيب عليها ٠

وأمه أيضا مجرمة ، تستحق العقاب والانتقام ، فهي في الوقت الذي حسبت فيه أنها أحسنت صنعا ، قد أساءت تربيته على هذه الطريقة ، فتفاخر بابنها كونه مدللا خجولا ، معفى من خدمة العلم ، وتعيد أسباب ذلك الى تربيتها « الممتازة » ٠ أما هو فانه يشك في محبتها واخلاصها ، ومثاليتها ، ففي الوقت الذي يتصورها تربأ نفسها عن مشاركة الناس سلوكهم الخاطىء ، يجدها بين المتفرجين الصاخبين في القاعة فهي اذن من الناس ، وليست ذلك الملاك المترفع عن الزلل والانحدار ، كان يتوقع وجودها في البيت تترقب مجيئه ، وتختلس النظرات الى الطريق تستطلع حضوره من خصاص النافذة فخاب حدسه ، وكذب ظنه ، فها هي ذي أمه في قاعة المسرح ، تدخل من الباب الجانبي ، وتشارك المتفرجين ما هم عليه ، انها واحدة من الناس ، والناس يتكونون من أمثالها ٠

ينمو حقده في (لا شعوره) ، وتشتد كراهيته لها الى درجة أن يتمنى عقله الباطن لها الموت ، ويتخيلها مقتولة أو ميتة او يتوقع لها ذلك بكل بساطة ، وبدون حرج ، يتوضح لنا هذا ويتبين عندما عاد الى البيت ووجدها قد فارقت الحياة ، لا يهتم بالامر ، ولا يشعر نحوها بالرثاء او الحزن او التعاطف ، لانه يعتقد أن موتها دليل على انتهاء سلبياته ، حتى ولو كان هذا الموت استشهادا في غارة عدوانية ، فنراه يتخذ قرارا ببناء بيت أخر بعيد عن القصف الجوي ٠

هنا نتساءل لماذا يبتعد عن القصف الجوي ؟ أيعود سبب ذلك الى جبنه وانهياره ؟ أيكون سبب ذلك سلوكه السلبي في الحياة ؟ لقد تعودنا من الاستاذ سمر أن تكون الشخصيات التي يخلقها في قصصه ايجابية بناءة كما هو الحال في قصصه (الموت مهنتي ، أم الشراطيط ، أشياء للذكرى ٠٠٠) فلا شك أنه يقصد من اتخاذ القرار ببناء بيت آخر بعيد عن القصف الجوي ، وأن البطل قرر أن يقوم بدوره الطبيعي في الدفاع عن وطنه فيبني بيتا لا يستطيع العدو قصفه لانه محصن بمن يدافع عنه ٠

أما الممثل : فانه انسان فنان ، فنان ملتزم بقضيته، مهتم بمشكلات وطنه ، مؤمن بالمسؤولية الملقاة على عاتقه باعتباره فنانا ، وهو يعتبر نفسه مسؤولا عن توجيه الناس واطلاعهم على الحقيقة ، والتنبؤ لهم بالمستقبل ، لذا فانك واجد في نظراته الرغبة في اسداء النصيحة لك ، واللوم على سلوكك اللا مبالي ، وتلاحقك نظراته أنى اتجهت وكأنها تصرخ بك :

« كف عن الضجيج أيها الابله ، وتنبه للحقيقة ، فان ورائي أمرا خطيرا أريد أن ألقيه عليك ، أصغوا الي أيها الناس ٠٠! ان نفسي تتميز من الغيظ ، وتتمزق أسى وحرقة وأنا أراكم غافلين ساهين عن خطر داهم يكاد أن يتخطفكم وأنتم لا تشعرون ، إن كنتم لا ترغبون في قبول النصيحة ولا في الكف عن الضجيج فانني سأسدل الستارة وانسحب من المسرح » ٠

لعلكم تستغربون عودتي الى المسرح ثانية ، وكنت قد آليت على نفسي أن أدعكم وشأنكم ، لكنها الحفيظة عليكم ، والخوف من خطر داهم يتهددكم ، واخلاصي لكم ، هو ما ارجعني اليكم ، لعلكم تستغربون صمتي ، وتنكرون علي نظراتي ، ان العاقل المتبصر هو الذي يفهمها ، وان أشد انفعالات نفسي وأعمقها غورا ، وأصدقها رنينا هو ما يعقد اللسان ، وأكمل الرجال شهامة أقلهم حديثا عن الخير والشر ، وأعظمهم شأنا اولئك الذين يبذلون الغالي من النفائس والاعلان ، دون تبجح او تفاخر ، ماذا ؟ أراكم

غير مكترثين بما أريد ؟ ان هذا ليوهي من عزيمتي ويخلق في أعماقي الخور والارهاق والقنوط ، لا بأس سأنصرف ايضا هذه المرة ، عساكم تثوبون الى رشدكم وسأسدل الستارة من ورائي وقد لا أعود ٠

ها أنا أعود ثالثة ، وها اني أتخلى عن تهديدي بكلا ترديه لكنني سأبقى صامتا حتى تهدأوا ، وسأبقى جامدا في مكاني ، أتتساءلون عن ابتسامتي ؟ لا ، انما أبتسم لما يحز في نفسي من الاذى ، وان هناك من يرقص مذبوحا من الألم ، وأراكم بدأتم تهدأون ؟ وأرى كل حركة قد توقفت في القاعة ؟ وهذا مدير المسرح يغلق الباب الامامي المخصص لدخول المتفرجين لانه لم يجد أحدا يدخل منه ، ها هو ذا يشير بالبدء ، أتريدون مني أن أبدأ التمثيل لارفه عنكم ؟ لا تتوقعوا مني ذلك « أيها المجرمون المتـأنقون الجالسون على كراسي مريحة ، انكم تحبون الدعة وراحة البال وزركشة الثياب ، سوف لن تروا غـيري على هذه المنصة ، لان الممثلـين الآخرين قد ذهبوا الى الحـرب ليشاركوا الجنود في قتال اليهود ، أنتم جبناء وقد حكمت عليكم بالموت ٠٠٠ » خذوا هذه الرصاصات ، ان أمـة لا تحب أن تعيش حرة كريمة هي أجدر بالموت برصاص مسدسي هذا ! ها ! ؟ ٠٠ لم يداخلكم الرعب ولم تصدر عنكم أية حركة ! ولـم تحتجوا على حكمي !؟ اذن فأنتم تعرفون ذنبكم ، وتحسون جريمتكم ، لا شك أن عقـدة الشعور بالذنب أخرستكم وأجبرتكم على قبول العقوبة بكل رضى ، وجعلتكم تنصاعون أمـامي قطيعا من الشياه ، واحدا إثر آخر لا يخل أحدكم بترتيب الخروج « المؤدب » لانه جبان ٠٠ جبان ٠٠ جبان ٠٠٠

ان واحدا منكم لم يفهم هذه الكلمة ، بل انه لـم يفهمني ، لا يهولنكم ما لطخت به يدي من دماء ، وكلنـا لا شك قد بلا من أحداث الحياة ما يعرف معه أن النفوس الخيرة ، قد تحمل على الشر حملا ، ولقد أجبرت على سلوكي هذا اجبارا اني ضبطت نفسي الى أعلى درجات الضبط قبل أن تنفجر ، لانني أدرك ان اخلاقي تمنعني من قتل الناس دون محاكمة ، ولقد حاولت أن لا أستجيب لانفعالاتي في محاكمتكم الا استجابة عقلانية ، قد يلومني القارىء على تصرفي هذا ، ولو عرف حق المعرفـة ان المثالي المتطرف في مثاليته ازاء الطبيعة البشرية عندما تتعرض مثـاليته لمحنـة تثبط قوة ارادتـه او تمنعـه من التهـور ، لاعفى نفسه من لومي وتقريعي ٠

ربما أكون مصابا بمس من الجنون او (النورستانيا الهسترية) او بأي عارض تفترضونه ، لكني أعيد أسباب كل اولئك الى انني وجدت العالم مقلوبا ، والنظـام مختلطا ، فالامور دائما لديكم معكوسة :

× الناس يدخلون من باب الممثلين ، والطبيعي ان يدخلوا من باب الدخول المخصص لهم

× الناس يتراكضون ويدخلون دون ان يسـأل أحدهم نفسه أو زملاءه لماذا نركض ؟ أو لماذا ندخل هـذا المكان والطبيعي ألا يكون هذا

× الناس يتكلمون ويصخبون ولا يسكتون حـين ترفع الستارة ، والطبيعي أن يفعلوا هذا

× هناك ممثل واحد ، والطبيعي ان يكون هنـاك مجموعة من الممثلين والناس لم يدركوا ذلك بعد ٠

× لم تعترضوا ولم تهتاجوا حين أطلقت عليـكم الرصاص وحين أدنتكم

٠٠٠٠ وغير ذلك من الامور المعكوسة ، ألا ترون معي أن من يرى الدنيا معكوسة ، مقلوبـة في عينيـه ، يحس باليأس والثورة وربما الجنون ٠

قد تسألوني لماذا فعلت هذا ؟ ولماذا بقيت وحـدي الممثل في المسرح الذي لم يذهب الى الساح ٠ لقـد كنت هناك ، وشاهدت مآسي العدوان وأحسست بالخطر فسارعت بالعودة اليكم استحثكم واناشدكم اليقظة والانتباه انا لا ادينكم جميعا انما اديـن قطعانا مـن الناس يعيشون في سلبية تامة دون اهداف

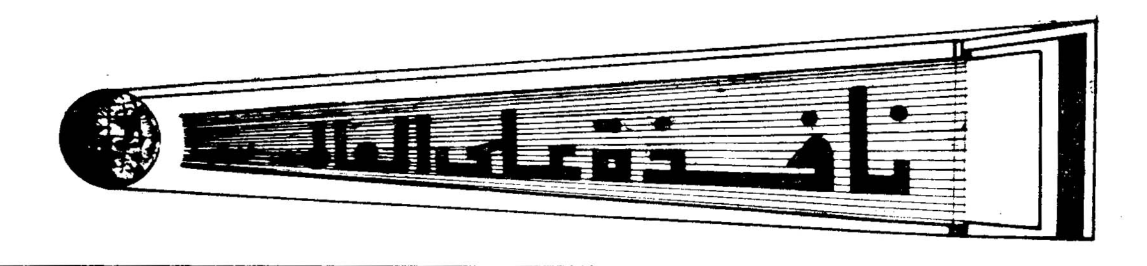
يركض بعضهم فيركضون
يدينهم الممثل فيسكتون
يطلق عليهم النار فلا يجيبون
يحارب الممثلون وهم قاعدون

ألم يقصف العـدو منازلهم وهم على هذه الحالة ؟ ماذا ترون ؟ لا تضيعوا الوقت أيها السادة باللغو والنقاش، شخصيتي لا تهم ، ومن أنا لا يهم ؟ ولا من أين أقبلت ! هل خرجت الا من بينكم ؟ وهـل أنا الا واحـد منكم ؟ لا تستغربوا ! ، كثير أنا بـين صفوفكم ، لكنـه صابـر وبصمت ، يمضـغ مرارتـه ، ويجتر سخريـة الناس منه الذين تعودوا اغفال كل من أغفلته الطبول والابواق ، أنا موجود ، كما انتم موجودون ، وكما هو موجود هـذا الفتى المدلل وامه المغرورة الحمقاء ، المجنونة بداء التبجح، أنا موجود وكل ما فعله المؤلف انه أخرجني من بينكم لامثل على خشبة المسرح لكنني على يقين انكم ستنسونني في اللحظة التي اغادركم بها وستعودون الى ما أنتم فيه من غفـلة وغباء وأخشى عندئذ أن يحكم عليكم التاريخ بالموت قبل ان تقرروا الاستيقاظ ٠

★ ★

هذه هي الشخصيات التي أبدعتها ريشة الاستاذ سمر كما فهمتها ، وكما لمحتها من خلال السطور ، أضعها بين يدي القراء ، ليحكموا عليها ، واتركها لهم ولم اتكلم بعد عن فنية القصة وعن جوانبها الاخرى ٠

رضوان عبد الرحمن الحزواني ـ حماه



★ كان عدد « روايات الهلال » لشهر آذار رواية جديدة لحسن محسب ، اسم الرواية ! وراء الشمس » ، رقم العدد ٣١٥ .

★ عن سلسلة « روايات مختارة » صدرت رواية عبد الفتاح رزق الجديدة وعنوانها « حديقة زهران » .

★ وعن سلسلة « قصص مختارة » صدرت مجموعةجديدة لسعد مكاوي عنوانها « الفجر يزور الحديقة » .

★ آخر مطبوعات « الجديد » كتاب الدكتور رشاد رشدي، « الرجل والجبل » الكتا برحلة في البحث عن الله .

★ كان الرقم ٣٩٣ من سلسلة اقرأ ، مجموعة اقاصيص لصوفي عبد الله ، عنوانها « القفص الاحمر » .

★ انتهى احصاء محتويات منزل الدكتور طه حسين ، تمهيدا لتحويله الى متحف يحمل اسمه، وستختار ارملته بعض المنقولات ، ليتم تقدير قيمة المنزل ومحتوياته .

★ توفي في القاهرة عضو مجمع اللغة العربية الامين الدكتور مراد كامل ، عن ـ ٦٨ ـ عاما . والدكتور مراد ، عالم في اللغات الشرقية ، (السريانية ، الامهرية ، العبرية ، الارامية) ويتقن الالمانية والايطالية والفرنسية والانكليزية . وقد كان عضوا في لجان المعجم الكبير ، واستاذا في جامعة القاهرة ، ومحاضرات المانيا ، كما كان مستشار لحكومة اثيوبيا في شؤون التعليم . له كتابات ودراسات كثيرة ، نشرت في كثير من الجرائد والمجلات .

★ استخدام الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، موضوع رسالة الدكتوراه التي فاز بها علي عشري زايد ، الدكتوراه من دار العلوم .

★ اتجاهات الرواية المصرية منذ الحرب العالمية الاولى سنة١٩١٧ عنوان رسالة الدكتوراه: محمد شفيع الدين، وقد تحدث فيها عن الرواية التاريخية والاسطورية والوجدانية والاجتماعية والتعبيرية .

★ تتابع وزارة الثقافة في دمشق اصدار ما يهم دارس التراث العربي ، فقد صدر عنها اخيرا الجزء الثاني من « فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في المكتبة الشعبية بصوفية » . أشرف على وضع الكتاب الدكتور عدنان درويش . هذا ، ونحب أن ننوه الى أن أمثال هذه المطبوعات هي مفتاح تحقيق التراث وحصر مخطوطاته في أنحاء العالم قاطبة .

★ عن وزارة الثقافة أيضا صدر كتاب هام يبحث في الفلوكلور الشعبي السوري ، اسم الكتاب « الحكايات الشعبية في اللاذقية » وقد وضع فيه مؤلفه أحمد بسام ساعي جهده في جمع الحكايات الشعبية على الصعيدين الصوتي والكتابي .

★ في سلسلة الدراسات الادبية التي تتابع وزارة الثقافة طرحها في السوق الادبية كتاب جديد يحمل اسم « مقالة في الاساطير في شعر عبد الوهاب البياتي » لمؤلفه طراد الكبيسي . الكتاب محاولة في دراسة الاساطير في شعر البياتي الذي عرف عنه اهتمامه بها في شعره .

★ للاطفال ايضا نصيبهم من وزارة الثقافة ، فقد صدر ديوان شعري جديد للشاعر سليمان العيسى يحمل اسم « أغان بريشة البرق » .

● **ومن كتب وزارة الثقافة الجديدة :**

ـ مسرحية « حدث ، أركوتسك » لالكسي أربوزوق وترجمة كمال عطية .

ـ رواية « الزيني بركات » لجمال الغيطاني .

ـ الانسان والحضارة والتحليل النفسي ـ لـ «ويلهام رايش وآخرون » وترجمة أنطون شاهين .

★ القى الشاعر القاص الدكتور عبد السلام العجيلي قصته (النفق) في مقر اتحاد الكتاب في حلب .

★ صدر في دمشق كتاب جديد للكاتب المسرحي نصري الخوري ، يضم ستة فصول هي : (أمة تطلب الحياة ، حفلة عشاء ، باسم المراد ، هارون الرشيد ، معجون الحب ، وعلى الباغي تدور الدوائر) قدم له الاستاذ عجاج نويهض .

★ سيصدر قريبا للشاعر نهاد رضا ديوان الحادي عشر (تلميذتي حبيبتي) وديوانه الثاني عشر (تجليات في رمضان) وقد تناول هذا الديوان المرحلة التشرينية في سجل النضال العربي ، وكان الشاعر تناول المرحلة الحزيرانية في ديوانه (احتجاب الفارس الاخضر) الذي صدر منذ عامين .

★ احتفلت هيئة الاذاعة والتلفزيون في القاهرة ، بعيد الميلاد السبعين للمفكر العربي الدكتور زكي نجيب محمود، الذي ولد في شباط ١٩٠٥ .

★ صدر في القاهرة ديوان شعر جديد بعنوان (البلبل الحائر) للرائد الشاعر محمد مجدي نظمي ·

★ أهدت أسرة الدكتور محمد بهي الدين بركات وزير المعارف السابق ، مكتبته الى كلية الحقوق في جامعة القاهرة، وكان استاذا فيها ·

★ كتاب جديد صدر في القاهرة للصحفي علي المغربي بعنوان (خبايا الصحافة) ناقش فيه اسرار الصحافـــة المصرية خلال الثلاثين عاما الماضية ، وموقف صحف مصر من الصحف العربية ·

★ الاديب الدكتور أمين البوطي اصدر روايته الثانية (الجانب الآخر من الحـاجز) بعد روايتـــه الاولى (الصمت والصدى) ·

● **الكويت :**

★ صدر أحدث ديوان للشـــاعر يعقوب عبد العزيز الرشيد ، عنوانه « سواقي الحب » ·

● مسرحية ماكس فريش « قصة حياة » قام الدكتور مصطفى ما هر بترجمتها حديثا ·

★ في سلسلة المسرح العالمي صدر المجلد الخـامس من مختارات سترندبرج (١٨٤٩ ــ ١٩١٢) · يضم المجلد مسرحية رقصة الموت والطريق الكبير ·

★ عن منشورات ذات السلاسل كتاب الاستاذ عبد الله يوسف الغنيم ، عنوانه (البكري ومنهجه الجغرافي) ·

● **لبنـــان :**

★ أضخم دار لنشر كتب الاطفال تنشأ عن مركزالابحاث والدراسات الفلسطينية ، اسم الـدار : الفتى العربي · يمول الدار بعض الاثرياء الفلسطينيين ، رئيس التحرير الدكتور احسان عباس ، المشرف على الدار الدكتور نبيـل شعيب ·

★ صدر عن الامانة العامة لاتحاد الكتاب والصحفيـين الفلسطينيين في بيروت ، ديوان الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود ، وقد جمع قصائده وقدم لـــه الـدكتور كـــامل السواقيري ، بدراسة هي الثالثة له عن الادب الفلسطيني، اذ صدرت له دراستان هي : (الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين من عام ١٩١٧ ــ ١٩٥٥) و (الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر) ·

يضم ديوان الشهيد عبد الرحيم محمود ٢٤٠ صفحة من الحجم الصغير ، استوعبت الدراسة منه ١١٠ صفحات ·

● **الجزائر :**

★ فصول في النقد الادبي الجزائري الحديث للدكتور الناقد محمد مصايف ·

★ جماعة الديوان في النقد ·

★ اللاز ، رواية الطاهر وطار ·

صدر له ايضا : الزلزال عن دار العودة ، روايـــة الشهداء يعودون هـــذا الاسبوع ، عن وزارة الاعـــلام العراقية ·

ــ قيد الطبع (ديوان الطغرائي) بتحقيق عضـو اتحاد الكتاب العراقيين الدكتور يحي الجبوري ومشاركـــة الدكتور علي الطاهر ·

ــ قيد الطبع كتاب (أيام العرب وأثرها في الشعر الجاهلي) لعضو اتحاد الكتاب العراقيين السـيد منذر الجبوري ·

ــ صدر حديثا كتاب (زبدة الآثار الجليةوالحوادث الارضية) تأليف ياسين العمري ، وتلخيص الدكتور داوود الجلبي وتحقيق عماد عبد السلام رؤوف ·

ــ يصدر قريبا لسكرتير تحرير مجلة الكتاب جابر عبد الحميد الخـــاقاني كتاب (ابن طباطبا ·· حياتـه وديوانه) ·

ــ صدر حديثا لرئيس اتحاد المؤلفـين والكتـــاب العراقيين كتاب (رسالتان فريدتان في عروض الدوبيت) وهما من تصنيف مالك بن المرحل المانقي المتوفي سنة ٦٩٩ هجرية · وقد حققهما وقدم لهما السيد هلال ناجي ·

ــ يصدر قريبا ديوان (شعلة البعث) للاســـتاذ الشاعر علي الحلي مدير الاعلام العـــام ، من احـــدى مطابع بيروت ·

ــ صدر كتاب (مواقف ورجال) للاستاذ محمد علي رفاعي ، يتناول فيه عددا من الشخصيات السياسيةالعربية والادبية بالدراسة والتحليل ·

ــ (دراسات في الشعر الجاهلي) كتـــاب بالـــغ الاهمية ، صدر أخيرا للدكتور نوري القيسي رئيس قسم اللغة العربية بجامعة بغداد في ٢٣٢ صحيفة · والكتاب بكر في منهجه فريد في موضوعاته ، فمن فصوله القيمـــة رأي في الادب الجاهلي ، أدبنا القديم والمصطلحات الحديثة، الشعر الجاهلي وثيقة تاريخية في دراســـة المعتقـــدات الدينية ، وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية ، الحوار في القصيدة الجاهلية ، ظاهرة الرفض في الشعر الجاهلي، المصنفات في الشعر الجاهلي ، مصنفات جديـــدة ، فن النقائض عند شعراء هذيل ، الالوان واحساس الشاعر الجاهلي بها ، من رثا نفسه من شعراء الجاهلية ، الاساطير وانتفاع الشاعر الجاهلي بها ، الملابس العربية في العصر الجاهلي، يعتبر هذا الكتاب علامة وضيئة في دنياالدراسات الادبية للشعر الجاهلي على امتداد الوطن العربي ·

ــ على الهامش ، كتاب صدر حديثا لرئيس تحـرير مجلة الكتاب الاستاذ هلال ناجي في ٢٨٢ صحيفة ·

ـ احلام السراب ، ديوان شعر للدكتور محمد عبد المنعم خفاجة ، صدر حديثا .

ـ (مباحث في الادب العربي المعاصر) كتاب تحت الطبع لعضو هيئة تحرير مجلة الكتاب الاستاذ وحيد الدين بهاء الدين .

ـ للدكتور عبد الامير الاعسم صدر في بيروت كتاب الفيلسوف الغزالي ، اعادة تقييم لتطور منحاه الروحي ، والكتاب جدير بكل تقدير .

ـ عن وزارة الاعلام ببغداد ، صدر ديوان جديد لعضوة اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين السيدة آمال الزهاوي ، عنوانه (دائرة في الضوء ودائرة في الظلمة) .

ـ عن وزارة الاعلام العراقية ، صدرت الكتب التالية : ١ ـ مرفأ الذاكرة ، ديوان شعر لمحمد عمران ، ٢ ـ اتجاهات جديدة في الادب : ترجمة نجيب المانع . ٣ ـ الزويل : قصة لجمال الغيطاني . ٤ ـ طائر الحقيقة: لعبد الستار ناصر .

ـ (لن ترحل العيون يا حيفا) مجموعة قصصية صدرت لعضو اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين صبيح رديف .

ـ شرح الدستور المؤقت : كتاب سيصدر قريبا لعضو اتحاد الكتاب العراقيين الدكتور منير محمود الوتري . يتناول الكتاب الدستور المؤقت من النواحي التاريخية والنظرية والتطبيقية ، مع مقارنة بدساتير الدول العربية والاجنبية .

ـ اسفرت انتخابات جمعية المترجمين العراقيين لعام ١٩٧٥ عن فوز السادة : ١ ـ الدكتور علي غالب العاني ٢ ـ يوسف متى عبد الله ٣ ـ يوسف داود عبد القادر ٤ ـ كمال بطى ٥ ـ فؤاد الاعظمي ٦ ـ ماجد النجار ٧ ـ غازي الحمداني ٨ ـ ضياء الشماع . كما فاز بعضوية الاتحاد السادة : ١ـ الدكتور منير الوتري ٢ـ علي الخليل ٣ـ راقد العسكري ، جدير بالذكر ، ان السادة : الدكتور علي غالب العاني وفؤاد الاعظمي والدكتور منير محمود الوتري وعلي خليل هم من اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين ـ وقد انتخب الفائزون علي غالب العاني رئيسا للجمعية.

ـ صدر عن مديرية الآثار العامة كتاب (القباب المخروطية في العراق) تأليف السيد عطا الحديثي معاون مدير الآثار العام والسيدة هناء عبد الخالق . والمؤلفان هما من اعضاء اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين .

ـ (مصادر البكري ومنهجه الجغرافي) ، لعبد الله يوسف الغنيم ، صدر حديثا في الكويت .

ـ صدر ديوان جديد للاديب الكويتي الاستاذ يعقوب عبد العزيز الرشيد .

ـ صدر (كشاف الصحافة الكويتية) للدكتور محمد حسن عبد الله الذي سبق ان اخرج كتابين هما : (الحياة الادبية والفكرية في الكويت) و (ديوان الشعر الكويتي).

ـ (منطقة الخليج العربي خلال الالفين الرابع والثالث قبل الميلاد) دراسة للاستاذ سليمان سعدون البدر ، صدرت في الكويت .

ـ في الثامن من الشهر المنصرم ، وبدعوة من رابطة الادباء في الكويت ، زار الاستاذ جعفر الخليلي الكويت ، والقى محاضرة عن الشعر العامودي ، والشعر الحر .

★ عدد شباط من روايات الهلال ورقمه ٣١٤ كان رواية لجمال حماد ، عنوانها (وثالثهم الشيطان) ، الرواية تحكي قصة شاب فنان يضنيه الصراع بين الخير والشر .

★ كتاب اخبار اليوم عن شهر شباط (العدد ٩٠) هو كتاب جديد لتوفيق الحكيم ، عنوانه (حماري الفيلسوف) . من الملاحظ ان فصول الكتاب كانت قد نشرت في كتب اخرى تتحدث عن حمار الحكيم .

★ كان عدد شباط من كتاب الهلال رواية لمحمود البدوي عنوانها « العذراء والليل » .

★ من مطبوعات الجديد في القاهرة صدر ديوان جديد للشاعر حسن فتح الباب ، عنوانه « حبنا اقوى من الموت » رقم العدد ٣٤ وقد صدر في كانون الثاني ١٩٧٥

★ من مطبوعات الجديد ايضا صدرت مجموعة قصصية لعبد الوهاب داوود ، عنوانها (هذا العذاب) . رقم العدد ٤ .

★ يعد عبد العزيز الدسوقي في القاهرة رسالة لنيل الدكتوراه ، عنوان الرسالة (مدرسة الديوان) .

★ اختير الاديب الشاب حسن الجوخ سكرتيرا لاسرة (طه حسين) التي تكونت بكلية آداب عين شمس بالقاهرة، مهمة هذه الاسرة وضع البرامج وتنظيم الدورات الثقافية مع الدكتور عفت الشرقاوي رائد الاسرة .

★ صدرت في الاسكندرية دورية جديدة اسمها (اقلام الصحوة) ، مهمتها التعبير عن الادب الشاب وعلى رأسهم محمد حافظ رجب وسعيد سالم وعباس بيومي وفريد شرعان ومحمود عوض عبد العال .

★ اصدر عبد الوهاب الغاني في دمشق مسرحية تاريخية جديدة تدور حول اوغاريت ، عنوان المسرحية (الملك نقمد) وتقع في ١٥٢ صفحة .

★ صدر في القاهرة العدد الثاني من مجلة القصة التي تصدرها وزارة الثقافة ويشرف عليها نادي القصة . يرأس تحرير هذه المجلة القاص ثروت اباظة .